

ايليا حليم حنا

حكايتي مع الكتب

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

تأصلت في عادة القراءة منذ حداثتي وبدات اهتم بالكتب وانا طفل في المرحلة الابتدائية ... وكنت اسعى الى حيث تباع الكتب القديمة حارما نفسي من كل ما يستهوي الاطفال من حلوى وغيرها ، لأشتري كتابا ...

وكانت تصدر في ذلك الوقت مجلة اسمها (مسامرات الاطفال المصورة) ... كان الاطفال يحررون اكثر من نصف صفحاتها .. فألقيت بدلوي بين الدلاء ، وبدات ابعث اليها بمعلومات اجمعها من قراءاتي — التي كانت تناسب سني في ذلك الوقت — والتي كانت تنشر لي بعنوان (هل تعلم ؟) وشجعني نشر كل ما كنت ابعث به على مداومة القراءة... وكان يوم صدور المجلة من اسعد ايام طفولتي ... اسعى مبكرا الى حيث تباع المجلة واقرأ ما نشر لي وانا في الطريق ، لا انتظر حتى اصل الى المنزل ، وكنت اطيل النظر الى اسمي مزهوا فخورا .. وكان هذا يعطيني طاقة جبارة وجلدا على مواصلة القراءة والبحث عن معلومات جديدة حتى لا يتوقف النشر لي ... وكان الاطفال زملائي ينظرون الي نظرة اكبار ، وزاد هذا ايضا من حماستي واعطاني دفعة قوية لمداومة القراءة والبحث عن مصادر انقل منها مقتطفات بعنوان (قرأت لك) .

وعندما وصلت الى المرحلة الثانوية كانت عادة القراءة قد تأصلت في تماما واصبحت قارئا نهما ، وبدات اقرأ لكبار الادباء : جبران والمنفلوطي ووجدت عندهما المشاعر الانسانية النبيلة ، وكشاب يحب كل جديد وكل ما يدفع الى التقدم قرات المازني ، والعقاد ، وطه حسين ، وابراهيم المصري ، وسلامة موسى ، ومحمد حسين هيكل ، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، وميخائيل نعيمه وغيرهم. وداومت على قراءة معظم المجلات الادبية ، والصفحات الادبية في الصحف اليومية ، وكانت صحف ذلك الوقت تخصص عددا من صفحاتها للثقافة الرفيعة المتعمقة وللبحث الادبي المدروس .. وكان الشباب يعتمد عليها كغذاء يومي مشبع .

وعاودتني الرغبة القوية الملحة في النشر ، وبدات ابعث بانتاجي من القصص والمقالات والدراسات الى الصفحات الادبية في بعض الصحف اليومية ، فأرسلت قصصا الى صحيفتي (كوكب الشرق) و (مصر) ومجلة (القصصي) ، وارسلت سلسلة من المقالات بعنوان (لمحة من حياة العباقرة) الى صحيفة (الجهاد) التي كانت تنشرها لي تباعا في مكان بارز منها ... وكانت صحافة تلك الايام تنشر الجيد مما يرسل اليها دون ادنى نظر الى الاسم ، فكنت ترى اسم شاب مغمور بجوار اسم اديب كبير مشهور ... ولهذا فان صحف ومجلات تلك الايام اسهمت في ظهور العديد من الادباء .

كان الهدف الاول من القراءة في بدء عهدي بها هو اثبات الذات والتجويد ... وفي فورة الشباب وحماسه وضآلة الخبرة كانت القراءة هي الينبوع الوحيد الذي طالما روى الظمأ المتجدد في اعماقي ... كانت الكتب هي النوافذ التي اطل منها على حقائق الحياة ، وتفضح الاكاذيب التي يعيش عليها الناس ... كنت عندما افرغ من قراءة كتاب تمتلئ نفسي بالمشاعر والافكار فأحس انني قد عبرت الى عالم جديد حافل بالوعي والادراك ، وكنت احس انه كلما اتسعت ثقافتي اتسعت تجربتي .

كان النشر المبكر حافزي القوي للقراءة الجادة المتصلة ، جعلني اسعى الى ان اتخذ موقفا تمليه علي وجهة نظري ، موقفا من الانسان والظروف والعالم الذي اعيش فيه . ولم يكن امامي وقتذاك ما يجعلني ذا موقف فيما يدور حولي وفي كثير من شؤون الحياة الا القراءة المتصلة التي ترفعني الى مستوى العصر ، وتضيف الجديد والكثير الى فكري ووجداني .

وعندما ذهبت الى الجامعة اتجهت الى الكتابة في المجلات الادبية فكتبت في مجلة (الحديقة والمنزل) ثم (المجلة الجديدة) التي كان يصدرها سلامة موسى ، ثم في مجلة (الرسالة) التي كان يصدرها استاذنا احمد حسن الزيات وظللت اكتب بها بدون انقطاع حتى احتجبت وحلت

مكانها مجلة (الرسالة الجديدة) التي كان يشرف على تحريرها (يوسف السباعي) ... وزاد اقبالي على القراءة الجادة الحميمة لأهتدي الى شعلة استضيء بها واضيء بها الطريق ... واصبحت قارئا عكوفا ارى انني لا استطيع ان اعبر تعبيرا صادقا جميلا الا بالقراءة التي تثري عقلي وقلبي بتراث المعرفة والابداع الفني والفكري . ووجدتني لا استطيع ان اكون كاتبا دون قراءة متصلة تصقل استعدادي ... ونشأتي الادبية في وقت قام فيه صراع بين القديم والحديث دفعتني الى القراءة دفعا قويا جارفا ... وقد شدنا ما ادخله العقاد والمازني وطه حسين وسلامة موسى وتوفيق الحكيم ... على الادب من مفاهيم جديدة فيما يختص بأهدافه ووظائفه ومناهجه .

استهوتني قراءة الكتاب التقدميين على اختلاف اساليبهم ووسائل تعبيرهم ، وشغفت بكل موحيات العصر وايماءاته المتجددة المستحدثة فسعيت الى معرفة الكثير عن القيادات المعاصرة في الادب الغربي ووجدت ما يروي عطشي في الدراسات التي كان يقدمها (ابراهيم المصري) و (سلامة موسى) وكل الذين اتجهوا بنا الى الحظيرة العالمية واوصلوا الينا التيارات المعاصرة ، وكان لجهدهم العظيم الاثر الكبير في تكوين جيل جديد من الادباء وتشجيعهم على المضي الى الامام ... كنت احاول ان اتابع التيارات المعاصرة واتعرف آثارها واقتني اعمالها ولم انعزل عن تراثنا الثقافي العربي ... كان بي نهم شديد لمتابعة الانتاج الذي تعمر به المكتبة العربية والغربية .. وكانت مكتبة الجامعة والمكتبات احب الاماكن التي امضي بها اوقات فراغي ولا امل ...

شغلتني القراءة عن اشياء كثيرة في شبابي وكنت لا ارى نفسي الا قارئا كاتبا وانطبق علي قول احمد بن رضا المالقي :

ليس المدامة مما استريح لـه ولا مجاوبة الاوتار والنغم
وانما لذتي كتب أطالعها وخادمي ابدا في نصرتي قلمي

وكنت عندما ارى الشباب حولي يستمتع بلهوه وانطلاقه ، كنت اردد قول (المتنبي) : (.. خير جليس في الزمان كتاب) واقول مع (واشنجتون ايرفنج) : (حينما يتحول كل شيء في هذا العالم الى نفاية وحثالة حولنا تبقى الكتب وحدها محتفظة بقيمتها الثابتة) .. واقول مع (ماكولي) : (انني افضل ان اكون فقيرا ساكنا في كوخ وحولي الكتب الكثيرة على ان اكون ملكا لا يميل الى المطالعة) ... واقول مع (جون ميلتون) : (الكتاب الجيد مثل دم الحياة الثمين لأرواح علوية ، محفوظ ومخبوء خصيصا من اجل حياة اخرى ، وراء الحياة) ... لم اشعر بالفراغ في حياتي ... في مكتبتي اجد دائما اكثر من كتاب تنتظرني قراءته .. في مكتبتي اجد ما يثير اهتمامي ويقضي على كل ملل وسأم ... في مكتبتي ارى العالم كله مفتوحا امامي ... في العزلة التامة وسكون الليل طالما امضيت امتع اوقاتي اشترك في لذات اخصب العقول وانبل القلوب التي تثري الحياة وتجعل لها قيمة ...

كان لا يستهويني لهو الشباب فقد حصنت قلبي وعقلي بالقراءة الواعية المتعمقة .. كنت اجد سعادتي في الاندماج فيما اقرؤه ... ما شعرت قط بالوحدة او الضيق وانا بين كتبي بل كان يضايقني ضيق الوقت وقلته ... ولكي استطيع ان أقرأ كل ما اريد قراءته درست اصول القراءة السريعة ودربت نفسي فعلا على ان اكون قارئا سريعا ، والفت كتابا في (فن القراءة) ، عالجت فيه كل ما يتصل بالقراءة الواعية المجدية .

كنت في بدء عهدي بالقراءة اقرأ كل شيء في اي مجال من مجالات الادب المختلفة وكل فروع المعرفة ... ثم اتجهت الى القراءة المتصلة لكاتب او اديب يستهويني فكره ، ولا اتركه حتى افرغ من كل ما يصل الى يدي من كتبه . ثم جاءت فترة كنت اقرأ فيها كل ما احصل عليه من كتب ومجلات في موضوع واحد يهمني الالمام به من كل نواحيه .

وتطور هدفي من القراءة ، فأنا الآن لا أقرأ للامتلاء من اجل الكتابة فقد اصبحت القراءة لي ضرورة لازمة .. القراءة عندي متعة لا تعدلها اية متعة اخرى ... وقيمة الكتاب عندي بما يتركه من اثر وما يثيره في من تفكير وما يزيده في من ادراك وتذوق للحياة ... اصبحت اقيس الكتاب بمدى تحريكه لي او بما يعبر عنه من مشاعر فنية تجعلني اعيش في التجربة واستخلص دلالتها بنفسي ... أحب الكتاب الذي يقول لي شيئا يكسبني مزيدا من الفهم للحياة .

هناك كتب جاءت الى مكتبتي بعثت الغثيان في نفسي لانها لا تهدف الى الارتفاع بتفكير الانسان وسمو شعوره . انني انتفض اشمئزازا وأنا أقرأ لانسان جامد او حاقد او متعصب ... اكره اي كتاب لا يدعو الى التسامي بالحب والتسامح والتعاون ... لا قيمة للكتاب ان لم يكن هدف كاتبه الارتقاء فكريا ووجدانيا وانسانيا .

قالوا تستطيع ان تعرف الرجل من الاطلاع على نوع الكتب التي يقرؤها ، وهذا صحيح ، فانني لا اختار من غذائي الثقافي الا ما يستهويني ، والذي اذكره ولا انساه هو انني لم اسع الى كتاب قتلا للوقت بل كل قراءاتي كان الدافع اليها حاجة نفسية او ذهنية او عاطفية ... كتبي لها صلة وثيقة بحياتي ومشكلاتي وهواياتي وعملي وشعوري ونفسيتي وميولي .

ومكتبة الاديب هي عمره الثاني كما يقول استاذنا البير اديب . انها تحوي من الكتب ما يصور تصويرا دقيقا كل مراحل حياته الفكرية والوجدانية وتطوره واهتماماته .. انها قطعة من حياته تتطور حسب تطوره وتجدده وميوله .. انها تعبير صادق عن شخصيته واتجاهاته ، تنشأ معه كما ينشأ الوليد وتنمو بمكونات فكره وميوله ونضجه .

والمكتبة العظيمة تقاس عظمتها بمدى استجابتها

لدواعي التطور والارتقاء .. انها جزء من واقع حياتنا ولا بد ان تكون مرآة لها ... ولا يمكن ان يكون للمكتبة ثراؤها وخصوبتها وقدرتها على العطاء الا اذا كانت محتوياتها تعبر عن آخر ما وصل اليه العصر الذي نعيشه ، وتضع صاحبها على مستوى التطورات الفكرية والعلمية التي تحدث في العالم والتي نحتاج اليها لتأصيل افكارنا وتعميق مفاهيمنا في مناحي الحياة كافة . وكان هذا هو دائما اتجاهي في اختيار زادي الثقافي .

انني ادمن القراءة ، والقراءة تلتهم معظم وقتي وتحرمني من اشياء كثيرة مما يرفه به الناس عن انفسهم لدرجة انني اشعر بالضيق وعدم الارتياح اذا لزم خروجي من داري وبين يدي كتاب لم افرغ من قراءته .

انني في القراءة نهم وشره لدرجة انني انسى كل شيء وانا اقرأ ، حتى وجباتي اذا جاء ميعادها اضيق بمن ينبهني بأن الطعام قد أعد ... واذا قمت لأشارك الآكلين لا اجد الشهية وآكل على عجل وانا مشغول بالتفكير والتأمل في شيء اعجبت به او لم اقتنع به اثناء قراءتي .

كل كتاب في مكتبتي يدعوني الى قراءته ولذا فان عملية انتقاء كتاب للقراءة عملية مرهقة ... اخلو الى نفسي لأقرأ فتراني اريد قراءة كل ما هو امامي من كتب وضعتها على مكتبتي للقراءة في اقرب فرصة ... اقلب في هذا ... واقول موضوعه لا غنى عن قراءته ، ويقع نظري على آخر ، واقول لنفسي هذا الكتاب طال انتظاره للقراءة وموضوعه هام جدا ومن النوع الذي اميل الى قراءته ... حيرة ..!! انني اود لو انه اصبح لي بدل الرأس رؤوس وبدل العينين عيون حتى اقرأ كل ما هو امامي ...!! ما حيلتي والرغبة واحدة في قراءة الجميع والميل واحد حيال الجميع ، بماذا ابتدىء وكل كتاب في مكتبتي يلح علي في الاسراع وعدم التباطؤ او التأجيل ... وليت الامر اقتصر على ما عندي من كتب فان اي كتاب ظهر في السوق يناديني قائلا : اين انت ؟ الم تسمع عني ؟ هلم واسرع والا فقد تركت ما لا يجب لقارىء ان يتركه .

وكتب الاصدقاء وكتب المكتبات العامة التي استعيرها تزاحم كتبي في الاسراع الى قراءتها ... هناك صراع دائم في نفسي بين ما ظهر من الكتب وكان في حوزتي ، وبين ما ظهر ولم اشتره ، وبين ما هو موجود ومتراكم على الرفوف ، وبين ما استعيره ... وتمتد يدي الى الكتب المستعارة وابتدىء بقراءتها وسر هذا هو اطمئناني الى ان كتبي في حوزتي لا احد يطلب مني الفراغ من قراءتها بسرعة ، انها ملكي فعليها ان تنتظر وسأفرغ لقراءتها في وقت من الاوقات ... انني اشعر بالاطمئنان وانا اراها تحتل اماكنها في مكتبتي ... انني دائما افضل عليها الكتب المستعارة ولا اهدأ حتى افرغ من قراءتها واسلمها لأصحابها ... والكتب الجديدة التي لم احصل عليها تشغلني وتناديني بشدة واشعر لها برغبة قوية حتى احصل عليها وتستوي على الرفوف فأطمئن الى انها موجودة ، وسأقرؤها في يوم من الايام ... فان لم احصل عليها اشعر بأن لبنة ناقصة في بناء ثقافتي وتفكيري ولا يهدأ لي بال الا اذا اشتريتها او استعرتها ، واستعارتها افيد لي لانني انقض عليها واحتضنها طوال وقتي قارئا ومتأملا ومعلقا ، وكتبي على رفوفها ترنو الي وانا أعدها انني سأسعى اليها عندما ينقطع عني سيل الكتب التي استعيرها من المكتبات العامة ومن الاصدقاء ... قائلا لها : سأقرؤك في يوم من الايام .. لن اهملك وقد دفعت فيك كل هذه المبالغ ، ولو كان عندي نية اهمالك لما اشتريتك ، ولكني ادخرك لوقت اشعر فيه انني في مسيس الحاجة لقراءتك للاستزادة في موضوعك او من اجل بحث يشغلني الكتابة فيه .

وكثيرا ما يجذبني واحد من كتبي فالتقطه وانتحي به مكانا هادئا ، اقلب صفحاته وابدأ في قراءته ، ولكني سرعان ما اتركه عندما يأتيني كتاب جديد او آخر مستعار فأضعه بين اخوانه او اتركه حيث كنت اقرأ فيه واحتضن العزيز الجديد .. لا بأس في هذا يا كتبي فأنت صاحبة البيت .. اما الكتب الوافدة فهي في ضيافتي ويجب ان اقبل عليها وافرغ منها بسرعة فأنا مطالب باعادتها الى اصحابها ، ان وقتها معي محدود وقصير ، اما انت فباقية معي والبيت بيتك .. أنا لا اراك غريبة حتى القاك بالاهتمام والترحاب والحرارة التي استقبل بها الاغراب الزائرين .

وتمر السنون وتتراكم كتبي وانظر اليها في حسرة وانا اقول لنفسي (هل من المعقول ان اقرأ كل هذه ؟! انني لن استطيع قراءتها حتى وان اعطيت عمرا مثل العمر الذي عشته) . كم شعرت بالاسى وانا احس انني لن اقرأ كل هذه الاكوام التي جمعتها وانا فرح بكل واحد منها ، وكنت اعود الى بيتي بكل كتاب اشتريه وانا سعيد كما لو كنت قد عدت بكنز ... اقلب صفحاته ، واقرأ جزءا هنا ، وجزءا هناك ، واراجع الفهرس ، واقف طويلا عند عنوان كل فصل من فصوله ، وارجع الى هذا الفصل اقرأ منه او اقرؤه كله .. ثم اضعه على احد الرفوف لأقرأه في اقرب فرصة وانا سعيد لان كتابا ثمينا مثل هذا يعمر مكتبتي ولا ينقصني ... كل كتاب في مكتبتي له ذكرياته اعرف متى جاء وظروف شرائه واحساساتي عند لقائي به لأول مرة .

تكدست الكتب ... وضج من معي في البيت من فوضى الكتب والصحف والمجلات التي احتلت اماكن ليست لها ، ولسان حالهم يقول : (ما لهذا الرجل ... اتراه يظن انه سيعطى الف أجل على اجله ليقرأ كل هذا ... ؟!)
وما زلت اخرج واعود بالجديد من الكتب ولا اكتفي بما عندي ... انني لا استطيع ان اقرأ او اسمع عن كتاب جديد ولا اشتريه ... واصمم ان ازيد من وقت القراءة ولكن لا تسعفني قوتي البدنية ولا يمكنني بصري ان امضي معظم ليلي قارئا ... والقراءة عندي غذاء لا بد ان يهضم ، و لابد ان يغذي عقلي وقلبي ويوسع افقي ونظرتي للحياة

والناس ... القراءة الواعية عندي نوع من العبادة ... انها تستغرقني وتملأ كـل كياني وتبعد عني هذا العالم بمشاغله وهمومه وضجيجه ... انها محرابي الهادىء الصامت الذي لا اسمع فيه الا نبضات عقلي وقلبي ... واذا احسست بضيق او قلق فانني اجد لهما علاجا في اثر فني يستغرقني او في كتاب طال اشتياقي لقراءته او في كتابة مذكراتي التي اودعها الكثير من همومي ومشاكلي ...

القراءة عندي كالوقود تزودني بطاقة هائلة ... انها تفجر طاقات عجيبة في اعماقي وفي طيات فكري ... انها تثير تفكيري وما خمد في نفسي من تجارب وافكار ... وانا اذا اردت ان اكتب ... او عندما لا يكون عندي قابلية للكتابة اقرا ... ومن عادتي انني اكتب كل ما يعن لي اثناء القراءة على هوامش الكتاب وعندما لا تكفي الهوامش استعين بأوراق اكمل فيها شيئا اعتقد ان المؤلف قـد تركه ... وهذا التأمل والتفكير والنقد والاستحسان او الاضافة على ما اورده الكاتب كثيرا ما توحي الي بموضوع اكتبه ولم يخطر على بالي ان اكتب فيه قبل القراءة ... انني غالبا ما اترك مـا اقرؤه بعد فترة تطول او تقصر وانغمس في كتابة شيء اوحت الي به القراءة .

القراءة ليست فقط اضافة لفكري بل هي ايضا اثارة لتفكيري .. وانا حاليا لا اقرأ لأستزيد ولكن لأنمو ... والاستزادة سهلة ... انها تراكم معلومات .. انما النمو هو الثمرة الحقيقية للقراءة ... والقراءة هراء وتعب للعين والاعصاب ومضيعة للوقت ان كان القارىء يقرأ ليقطع الوقت او ليحصل على معلومات يفخر بهـا ... هذه المعلومات هي تشور القراءة اما لبها فهو البناء الكامل للنفس والتفتح على الحياة ... القراءة التي لا تتفاعل مع حياتنا وتفكيرنا ولا تؤثـر في سلوكنا الذهني والوجداني ليست قراءة مجدية على الاطلاق واهمالها اجدى وانفع ... يقول (بيكون) (القراءة تصنع الرجل الكامل) ويقـول الدكتور احمد زكي (ان المثقف التام التثقف ، الذي تثقف حسه ، وتثقف عقله ، وتثقف قلبه ، وجمع الى العرفان الحكمة ، هو اسعد رجل على الارض ، وهو سعيد في شبعه وجوعه ، سعيد في عريه واكتسائه ، سعيد ما بقي له شعاع عقل ه، ودفء قلبه وتفتح بصيرته) .

القراءة الواعية لذيذة ولكنها مضنية ، انهـا تركيز عميق ينسى الواحد كل شيء الا ما يقرؤه ويجعله لا يحس بما يدور حوله ، انها استغراق كامل وتأمل وتفكير ... محصولها قليل في ساعات كثيرة وخاصة لـمن يفكر فيما يقرؤه ولا يأخذه حجة مسلما بها ، ويعلق عليه بما يعن له من افكار تؤيد ما يقوله المؤلف او تدحضه ... اضع امامي مجموعة من الكتب ... واظن انني سأقرأ كتابا علـى الاقل كـل يومين وتستغرقني قراءة الكتاب والتفكير في محتوياته والتعليق عليها بعد هضمها ... وكثيرا ما اعمد الى تلخيص الكتاب اثناء قراءته وكتابة تعليقي على مـا الخصه ... وبات عندي العديد من هذه الملخصات التي تزدحم بها دواليب الكتب ... وكثيرا ما أعاود قراءة بعض هذه الملخصات على فترات غير طويلة ، وقراءة هـذه الملخصات تحفظ الكثير مما قراته من النسيان .

لهذا كانت القراءة عندي عبئا كبيرا مضنيا ولكني اقوم به وانا راغب فيه وسعيد به ... ولهذا فانني انتهي من قراءة الكتاب الذي قدرت له يومين ، في فترة لا تقل عن اسبوعين ... وعندئذ اعود وانظر الـى رفوف مكتبتي واسأل نفسي : متى اقرا كل هذه الاكوام المرصوصة ؟ ويتملكني الاسى كما لو كان استيعاب كل ما في هذه الكتب امرا لا غنى لـي عنه ... ويعزيني قول (وليم ماتيو) (ليس عدد الكتب التي قراها الشاب هو الذي يجعله نابها مثقفا لكنها الكتب التي احسن اختيارها والتي استوعبها حتى جعل كـل فكرة ثمينة فيها اليفا وصديقا) . وقول (ت. س. اليوت) : (ليس المهم ان تقرأ عشرات الكتب ، مهم جدا ان تفهم عشرات الصفحات ، وبعد ذلك تكتب صفحة واحدة) .

والقراءة بالرغم من فائدتها العظيمة اضاعت علي الكثير من متع الحياة ، ولكني اعترف انها اثرت حياتي العقلية والوجدانية وان كانت لم تغنني وحدها عن تجاربي الشخصية ، ولكن ما لا جدال فيه هو انه كلما اتسعت الثقافة اتسعت التجربة . وفي هـذا يقول (العقاد) : (لا تغني الكتب عن تجارب الحياة ، ولا تغني التجارب عن الكتب .. اما ان التجارب لا تغني عن الكتب ، فذلك لان الكتب هـي تجارب آلاف السنين في مختلف الامـم والعصور ، ولا يمكن ان تبلغ تجربة الفرد الواحد اكثر من عشرات السنين) .

وللقراءة فضل كبير علي ، فأنا مدين لها بصحتي النفسية ، لان استغراقي فيها ، كثيرا ما كان صمام أمن تتسرب منه أبخرة الهموم الكفيلة بتدمير اعماقي لو انها لم تجد لهـا متنفسا في قراءاتي العميقة ... انني اتنفس ارتياحا اثناء وبعد قراءة عمل فني جيد .

بـدون القراءة والتأمل والتجربة لا يتقـدم العقل البشري ويصل الى ما يشبه الجمود ومن ثـم يستحيل التطور .. بدون القراءة الجادة الهادفة تضمر وتذبـل عقولنا ونقف عند حد لا نتعداه .. والذين لا يكفون عن الشوق الى المعرفة لا يسأمون ولا ييأسون بل يتجددون ولا يشيخون ... القراءة تكسب عقولنا بل حياتنا كلها حيوية وخصوبة نفتقدهما بدونها .

القاهرة **ايليا حليم حنا**



لبيك يا عمر ..

في المهرجان التذكاري

للبطل الاسلامي الشهيد عمر المختار

لشاعر الاهرام محمد عبد الغني حسن

*

لبيك ! أهل الجهاد الحر قد نفروا — كعهدهم بك في الهيجاء يا عمر !
دعوتهم لعلا ذكراك ، فاحتشدوا — كما أمرتهم بالجمع فائتمروا ..
جاءوك من كل فج ، لم يضق بهم — بدو ، ولا ضج من وقع الخطى حضر
يبغون كل فلاة قد نزلت بها — لأنها بك في التاريخ تزدهر ..
فكل ذرة رمل عندها نبأ — وكل فلقة صخر عندها خبر ..

* * *

(وادي أبو طاقة) ما زال أجرده — يخضل باسمك فيه النبت والشجر
فطالما التهبت في كل ناحية — فيه مواقع في ((الطليان)) تستعر
أقلقت مضجعهم من طول ما سهدوا — أرقت أجفانهم من طول ما سهروا ..
السيف في كفك البيضاء منصلت — وفوق رأسك من رشاشهم مطر ..
تظل تسلمك البيداء من خطر — لغيره ، وعداك الباس والخطر ..
وأنت في قلة بالله غالبة — وان أحاط بك الاعداء أو كثروا
غدوت شيئا يثير الرعب عندهم — واسما اذا سمعوه بينهم ذعروا ..

* * *

ثبت في موقع للموت ، ما برحت — تعنو الجباه له طرا ، وتنفطر
ومن يخض غمرات الموت جائشة — فليس يخطئه في الغمرة القدر
الموت فوق فراش الدار مرتقب — كالموت تحت رشاش النار منتظر
وأشرف الموتتين الحقتين بنا — موت تراع له الدنيا وتنبهر ..
زل الجواد الذي قد كنت راكبه — ولم يزل لكم رأي ولا فكر

مـــا زلت بالخيل في البيداء تركبها | حتى استقام لديك السهل والوعر
فكــل منعرج فيـــه لكـــم قـــدم | وكــل منعطف فيــه لكـــم أثر ..
دوخت في الصبح والامساء حشدهم | والشاهدان عليك الشمس والقمر ..
راموك في شعب الوادي فما عرفوا | وحاولوا لـــك امساكا فما قدروا

* * *

وما انثنى لــك رمح في مواجهة | ولا نبـــا في يديــك الصارم الذكر
لكنـــه قـــدر جـــار عثـرت بـــه | أمـــا رفاقك في الجلى فما عثروا
وافرحة الآسريك الآن قـــد ظفروا | كأنهـــم بشهاب ثاقب ظفروا ...
ظنوك تقبر في رمس ، وقد خسئوا | فانهـــم بصغار العار قـــد قبروا
حطـــوك في حفـــرة أخفوا معالمها | يا مخفي العطر ان العطر ينتشر ..
ظنوك ـــ من حمقهم ـــ في القبر مندثرا | لكنهـــم رجعـــوا بالخزي واندثروا

* * *

طيب التراب على مثواك دل ، كما | بكل ما في الشذا قد يعرف الزهر
مـــا ضر حفرتك القصواء وحشتها | كم ميت شرفت من أجله الحفر ..

* * *

قد حاكموك ، وكان الحكم مهزلة | ورب مبكيـــة في هزلهـــا صـــور
كانـــت اجاباتك الشماء مؤمنـــة | كأنها حكـــم تهفـــو لهـــا العصر
أصغى الزمان لهـــا لـــما هتفت بها | وامتد في كـــل أفق نحوها البصر
جريمـــة بـــاء جانيهـــا بلعنتهـــا | فعاد وهـــو بلؤم الظلـــم مؤتزر

* * *

لـــم يـــرث للاسد المقهور منزويا | وقـــد تهشم منـــه الناب والظفر
لـــم يرحم الشيخ في أغلال آسره | والقيد في رجله ، والسيف منكسر
يـــا آسر البطل المغلول ! تبصرة | اللحديد علـــى الابطال مقتـــدر ؟
أغـــرك الاســـد المأسور منكفئـــا | فرحت ترميـــه بالسوءى وتبتدر ؟
قـــد يغفر الله ما بالنفس من دخل | الا الغرور فذنب ليس يغتفر ...

* * *

فيم القضاء ، وقـــد جاءوا بمشنقة | من قبل ان يبتدي في الجلسة النظر ؟
حكم أعدوه قبـــل النطق غطرسة | فأكبروك به من حيثما صغروا ...

* * *

هـــذا الجهاد الذي أعليت رايته | حملت فيه الذي لا يحمل البشر ..
جزاك ربك أجـــر الصابرين لـــه | فأنت ممن على الباساء قد صبروا
أخلصت لله في هذا الجهاد ، فلا | مال فيرجى ، ولا جاه فينتظر ...
خير الجهاد على الدنيا ، وأصدقه | مـــا كان لله والاوطان يدخر ...

القاهرة | محمد عبد الغني حسن



بولس سلامة

بولس سلامة

رائد الشعر الملحمي العربي

بقلم فوزي عطوي

* * *

سئل بعض الاعراب ، مرة : « لم كانت المراثي اجود اشعاركم ؟ » فأجاب بصدق وألم : « لاننا نقولها واكبادنا تحترق » .

والذين يعرفون صلة البنوة الروحية التي جمعتني طوال عشرين عاما بوالدي الروحي بولس سلامة الذي كان يعتبرني بمثابة ابنه الخامس ، بعد نهاد ورشاد وسهاد وجهاد ، يدركون جيدا ان كل كلام اقوله ، في رحيل العلم الادبي والوطني الشامخ بولس سلامة ، هو اصغر من هول الخطب الذي الم بي ، سواء على الصعيد الادبي ، او على الصعيد الشخصي ، ذلك ان غياب هذا الكاتب الشاعر الرائد ، وفي مثل الظروف الوطنية الحزينة التي حملتنا ، في لبنان ، كل احزان الدنيا وآلامها ، حمل بعض معاني القهر لكرامة كل منا ، وفي طليعة المقهورين ، انسانيا ووطنيا ، هذا المارد المتمرد الذي تحدى مأساته الايوبية ، فأسقطته مأساة وطنه الذبيح .

وبولس سلامة لم يترك بعده قولا لقائل ، ولا زيادة لمستزيد : اخشى ، ان أنا تماديت في وصف صلتي الروحية البنوية به ، منذ ان رعى خطواتي الاولى في دروب القلم ، وانا ناشيء طري العود ، بعد ، اتلمس سببا الى العطاء المثمر ، الى ان اصبح ، بتواضعه النبيل ، يشركني في شؤونه الخاصة ، ويستطلع رأيي في كثير مما ينظم او ينثر ، قبل ان يدفعه الى النشر ، اقول : اخشى ان انا تماديت في ذلك ، ان اظلم ذكرى هذا الجبل اللبناني الذي وصف نفسه ، وهو يصف لبنان حين نعته بأنه :

جاور الانجم واحتل السحابا   جبل مهد للفردوس بابا

عشرون سنة : اسيغ لنفسي ، في هذه العجالة ، ان اقفز فوق السنين العشرين التي رعاها بولس سلامة بسقيا عينيه ، وصفاء قلبه ، ورجاحة عقله ، ورقة مشاعره ، وحنان ابوته ، فما سنحت له فرصة لالقاء محاضرة او خطاب ، ولا اعطاء حديث اذاعي او صحافي ، الا نوه بي وبأدبي وصداقتي تنويها كان هو الاحق به ، لكنه شاء على الدوام ان يكون عطر الذكر العريض ، والسمعة الطيبة ، شراكة بينه وبين احبائه وخلصائه .

فمنذ عام ١٩٥٨ ، ومكارم الرجل تترى ، نبيلة ، محبة ، خالصة : صدر ديواني الاول « دم وفم » بكلمة حملت من التشجيع فوق ما حملت من النقد ، ثم قدم لكتابي « المعلقات العشر » ، وكتب نقدا محبا لكتب كثيرة لي : من خليل مطران الى جمال عبد الناصر ، وشرف ذكر بناتي بقصيدة اخوانية رقيقة نشرها في « الاديب » ، وبلغ بمكارمه الذروة عندما اصر على ان يحضر بنفسه ، مضطربا على عكازه ، لالقاء كلمته في حفل تكريمي بوسام الارز الوطني في الندوة اللبنانية ، بينما اناب عنه ابنه رشاد ، الامين العام للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم ، لالقاء قصيدته العصماء ، في يوم تكريمه بالذات .

ثم قد اسيغ لنفسي ان اتجاوز ملحمة « عيد الغدير » التي اعاد فيها الى الحق الصراح القه وانتصاره ، رغم كل دعاوى الباطل الغرير ، او ملحمة « عيد الرياض » التي احيا فيها امجاد العرب وفروسيتهم ، متمثلة في المعركة الظافرة التي خاضها الملك السعودي المؤسس عبد العزيز ، او مطولته الشعرية « عيد الستين » التي اعدها ملحمة وجدانية ، من نسيج خاص ، او كتبه اللبنانية الاصيلة التي استنقذ فيها مجد القرية ، وشمم الجبال التي ما طأطأت هاما ، على مدى الزمان العصيب : « حكاية عمر » ، و « في ذلك الزمان » و « خبز وملح » و « من شرفتي » و « ليالي الفندق » و « تحت السنديانة » و « حديث العشية » ، او حكاية آلامه الممتزجة بفلسفة تصوفية مفعمة بالايمان ، والممتزجة بروح متألمة فرحة في آن ، بالبلوى التي جاءت « مذكرات جريح » ، مصداقا لانابة صاحبها

الى ربه ، ورضاه بحكمه العادل ، او كتابه اللاهوتي الممتزج بحب الله : « مع المسيح » ، او حتى مختارات شعره ، بـل اطرافا من ازجاله العائدة الى اولى مراحل الصبا الباكر ، فكل هذه المؤلفات وسواها من المخطوطات النثرية والشعرية التي املك بعضها ، او التي خلفها بين يدي ابنائه ارثا ثمينا غاليا ، سوف تكون مدار حديث مفصل عن عبقرية بولس سلامة ، عملا بوصية رددها غير مرة على مسمعي ومسمع بعض اخواننا واصدقائنا المشتركين ، وا نكان شقيقي رفيق عطوي قد احرز شرف السبق الى الحديث المفصل عن « بولس سلامة ، انسانا وشاعرا ملحميا » في اطروحته لنيل الدكتوراه في الادب العربي من جامعة القديس يوسف في بيروت .

بولس سلامة لآخر مرة : لكن ما لا استطيع نسيانه هو ذلك اللقاء ، او على الاصح تلك اللقاءات الشخصية او الهاتفية الاخيرة التي انعقدت بيننا ، قبل ان تطوح بنا جميعا يـد المأساة التي فصلتنا ، وفصمت شخصيتنا الوطنية ، ووزعتنا مناطق جغرافية يوجس بعضها خيفة من بعض ، حتى اصبحنا ، ونحن نرفض ان ينبري لنا مزايد على ولائنا اللبناني الاصيل ، نخشى بعضنا بعضا ، لكأننا كل الذي غرسه بولس سلامة ، وامثال بولس سلامة من رعيل العباقرة الوطنيين الافذاذ ، من معاني السماح الديني ، والاخـاء الوطني ، والترفع فـوق الحزازات التعصبية الحاقدة ، بغير سبب ، وبغير ثمن ، ذهب ، بأسف ، ادراج الرياح .

فمنذ ان ذرت المأساة قرنها ، فوق ارض هذا البلد الذي انقلب فيه سماح الملائكة الى شر الشياطين ، ونحن نتشاكى معا هذا التطرف الاعمى الذي اسقط كل سبيل الى الحوار العاقل المحب ، بعد ان حلت الرصاصة الجبانة الغادرة محل الكلمة الهادئة المحاورة ، بل نتشاكى ذلـك التعصب المريض الذي دفع المواطنون والوطن ثمنـه ، بغير حساب .

وكان ان دعتنا الاحداث المحلية المتطورة الى اتخاذ موقـف سياسي واضح معتدل ، تجـاه تناحر الاشقاء واحترابهم ، في منطقة عزيزة غالية ، كان اول الدروس التي تلقيناها فيها ، ان القرابة المكتسبة بـين المسلمين والمسيحيين هي موازية لقرابة اللحم والدم .

كما ان احد الوزراء ، وهو صديق عالم وسياسي معتدل ، اتخذ مواقف مماثلة ، او رفض ان ينساق في موكب الانفعال والتطرف ، فهاتفني بولس سلامة ، على عادتنا اليومية ، وهنأني بموقف الوزير الصديق وموقفي ، وقال لي : « انت وهذا الرجل من مدرسة وطنية واحدة اصيلة ، وكم أحب ان اتعرف اليه » .

وما ان نقلت الرغبة الى وزير التصميم العام الدكتور زكي مزبودي ، حتى كنا معا بعد يوم واحد ، نزور بولس سلامة في منزله في عين الرمانة ، ونؤكد القيم العلى والمثل الوطنية الرفيعة التـي ينبغي ان تكون دستور التعامل الشريف بين اللبنانيين .

يرثي نفسه : ويمر يوم او يومان ، واذا ببولس سلامة يهاتفني مجددا ، شاكرًا هذه البادرة التي احيت في نفسه بعض الرجاء ، لكنه ابلغني ان تدهور الاوضاع الامنية والسياسية اصابه بلون من السوداوية والتشاؤم ، فأحس ان اجله دان ، لا محالة .

وحاولت ، على عادتي ، ان اخفف من عبء هذه السوداوية التي كانت تنتاب بولس سلامة بين فترة وفترة ، رغم انه انسان ممتزج الطبع بالتفاؤل والامل ، حتى ليروى انه ، في اخطر العمليات الجراحية التي اجريت علـى جسده ، كان لا ينفك يمازح الجراحين ، ويخفف من قلقهم عليـه .

لكنه كان مصرا ، هذه المرة ، على موقفه ، واخبرني انه نظم قصيدة لعلها ان تكون قصيدته الاخيرة ، وفيها يرثي نفسه ، ويستحضر ذكريات شبيبته ، وان اثنين فقط يسمعان هذه القصيدة هما : خليل رامز سركيس ، وفوزي عطوي . ثم تلا القصيدة على مسمعي ، فاستأذنته بأن يتلوها بهدوء حتى اتذوق ابياتها ، بينما كنت في الحقيقة اعمد لاشعوريا الى الامساك بقلم وورقة ، وادون القصيدة بكاملها ، فلما انتهى من تلاوتها ، قلت له مازحا : هل تذكر قصة ابي عثمان الجاحظ الذي كان يستطيع اعادة تلاوة ما يقرأ على مسامعه ، منذ المرة الاولى ؟

فقال : ـــ وهل تريد ان تقنعني بأنك قادر على اعادة تلاوة القصيدة .

قلت : ـــ لقـد سجلتها بكاملها ، بينما كنت تقرأ ابياتها ، متمهلا .

فقال ، وهو يعانق ذروة النبل والفضل والتواضع : ـــ اذن ، فهل لك ان تعطيني رأيك فيها ، فأنا قد نظمتها على عجل .

وازاء اصراره وتواضعه النبيـل ، ابديت بعـض المقترحات ، فأخذ بها فورا ، واصبحت القصيدة التي جعل عنوانها « الوداع الاخير » ، وفقا للنص التالي :

الوداع الاخير

ربـي ، سألتك بالبتولة — يـا مـلاذ المستجير
اني احس الموت يلمسني — فانعـم بالبشيـر
وأحس في صدري باني — صرت مـن اهل القبور
فأعود للماضي ، وأبكيه — ويرحمنـي ضميـري
ايـام شـرخ شبيبتـي — كالورد في العمر النضير
فاذا مررت على الرياض — تصيح : اهـلا بالامير
واخالني عنـد النجوم — أكـر كـرات النسـور
واهـا لأيـام الربيـع — وللخمائـل ، والغديـر
أجتازهـا ، وكأننـي — ريان مـن خمر القبور
والليل يؤنسني فأنعم — بالكواكـب والبـدور
واخالني ملـك السحاب — أطـير في مـلأ طهور
فـاذا نـزلـت الارض — واحتدمت شرارات الهجير

حلقت من فوق الصخور ورحت أسبح في النهور
ويخف اصحابي فنستلقي على العشب الطرير :
هـات القريض ورطـب الآفاق بالنغـم الحريري
فافوق اخطـل تغلـب وأكاد أهزأ مـن جرير
واليـوم لا طـرب ولا شعر ، ويقتلني سريري
فاقول أيـن الموت يـا ربـاه ، يرأف بالاسير
هـذا وداع العمر يـا رباه ، في النفس الاخير
يا أرحم الرحماء خلصني وعجـل في مسيري

وكان تاريخ هذه القصيدة ، كما يتضح من مذكراتي الشخصية ، هو الاحد في ٢٣ تموز ١٩٧٨ ، فيكون بينها وبين تاريخ وفاته يوم الاحد في ١٤ تشرين الاول ١٩٧٩ ، سنة وشهران واسبوعان تقريبا .

داعب الموت : وبولس سلامة الذي ولد عام ١٩٠٢ في بتدين اللقش ، من قضاء جزين في لبنان الجنوبي ، لبث منذ عام ١٩٣٦ ، يوم اصيب بالناسور في العمود الفقري ، وهو قاض يتقلب في خدمة العدالة ، وحتى يوم وفاته ، يداعب الموت ، والموت يداعبه ، فلا عجب ان تقع على ذكر الموت بصورة غير اعتيادية ، في معظم كتاباته النثرية والشعرية .

فمنذ قصيدته الشهيرة « **الـم** » التي يبدأ مطلعها بمحادثة الموت : « يا موت ، يا حلم الخيال النائي » ، تراه واعيا ابعاد مأساته الايوبية ، مدركا خطورتها ، قانعا بحكم الله ، مسلما اليه امره .

ولعل من اروع مقاطع تلك القصيدة ، قول بولس سلامة في وصف حاله :

سالت على حـد المباضع مهجتي فشفارهـا مصبوغـة بدمائـي
وتشابهت مني الجراح ، فاصبحت حفـرا تضل بهـا جفون الرائي
واد تقطعه الكهوف ، كانمـا جسمي الطعين مغـاور للـداء
صبحي أمر من المساء ، فعيشتي موصولـة الظلمـاء بالظلمـاء
أواه لـو كان الرقاد يزورني لرضيت مـن دنيـاي بالاغفاء
لا يلتقـي جفنـاي الا خلسة فكـأن بينهمـا قديـم عـداء
أيوب ! ما أيوب ؟ ماذا خطبه هـو قطرة ، وأنا خضم بلاء
فاذا مررت على الجريح تعوده ، فلقـد أتيـت مدافـن الاحياء

وها هوذا يعود الى حديث غروب شمس عمره ، يوم ان تنادينا في لبنان الى تكريمه بمهرجان ادبي ضخم بمناسبة نيله جائزة رئيس الجمهورية ، في الندوة اللبنانية ، وكان ذلك المهرجان يوم السبت ٣١ كانون الثاني ١٩٧٠ ،

ففي ختام قصيدته ، في المهرجان التكريمي ، يقول بولس سلامة :

صدقت غضيض الجسم والروح والرؤى وكان كحد السيف قولي وافعالي
فكيف ، وقد هد السقام عزيمتي وأضحى عن الدنيا يحاول اعجالي
وها هي ذي شمسي تدنت ، فازمعت وبت ارى في غائم الافق اطفالي
علام اراني حائرا أرقب الردى وما الموت الا حرف حال الى حال
صلاتي الى ربي ضراعة خاشع وتوبـة عبـد للمآثـم حمـال
فيـا رافع الاوزار عفوا فانني دفعت عن الاقداس والوطن الغالي

عظمة الشاعر : ولقد يطول بنا حديث الاستشهاد بأقوال بولس سلامة ، نثرا وشعرا ، مما يؤكد عمق وعي الرجل بأبعاد الخطب الجسدي الذي الم به ، ولكن دون ان يهزم في نفسه عظمتها ، وادراكها قيمة العبقرية المتفوقة التي تحلى بها ، ناثرا ، وشاعرا ، وانسانا كريم النفس ، رفيع الشمائل والمزايا . يقول من قصيدة له :

سرت في زحمـة الحياة وحيدا واضـل المستكبريـن اناتـي
سوف يمضون في الزمان رمادا ويعيـش الزمـان في نبراتـي
وتعـود العصور تسال عنـي كـاسرات الجفـون معتـذرات

ويقول متحدثا عن شعره الملحمي :

آمنت بالشعر علوي المدى شمما يختار زهر قوافيه مـن الشهب
آثرته ملحمي السبك لا غنجـا مهلهـلا دنس الديبـاج والارب
تلك البهارج لا فكر ولا دسم اعرى من القفر او اخوى من القصب
يا رب ليل غزوت الشعر من كبدي فيه ، وأهويت من سقم ومن تعب
سكبت ملحمتي ، والداء يهصرني يمتص من مهجتي ، ياوي الى عصبي
زرق المباضع في عظمـي تناوشه مـا بين منكسر منها ومختضب
لـو آهتي عبرت حمراء لاهبة لم يبق من عشبة في المنبت العشب
« عيد الرياض » سبقت الاولين بها فمن أتى لاحقا ، يجري على عقبي
سيهرم العصر بعد العصر منصرما وهي الفتية لـم تكهل ولم تشب
ان الملاحم لـم تبرح مناط يدي فكلما انتسبت فاءت الى نسبي

ريادة الشعر الملحمي : وحقا ، ان لبولس سلامة فضل الريادة في الشعر الملحمي العربي . فقبل بولس سلامة ، عرف العرب ترجمات للالياذة والانيادة والمهاباراتا ، قام بها سليمان ووديع البستاني ، ولكنهم لم يعرفوا الشعر الملحمي المكتمل العناصر والشروط والاسباب ، قبل ظهور ملحمتي بولس سلامة : عيد الغدير ، التي تحدث فيها عن استشهاد الحسين وآل البيت في كربلاء ، وعيد الرياض التي روى فيها ملحمة النصر التي حققها الملك السعودي المؤسس وابناؤه ورجاله . وحسب هاتيـن الملحمتين ، ومعظم ما خطه يراع بولس سلامة ، ان شعره ، فيها ، كان ممتزجا بأنفاسه الشجاعة المتعالية على كل اوجاع الجسد واسقامه التي تمادت خلال اربع وعشرين عملية تناوشته فيها مشارط الاطباء والجراحين ، وكان الرجل مرشحا لاحتمال العملية الخامسة والعشرين ، قبل وفاته بأيام قلائل ، لولا ان نسبة نجاح استئصال الامعاء كانت لا تزيد على خمسة بالمئة فقط .

ولقد جاء شعر بولس الملحمي جزلا ، فخما ، قويا ، عالي السبك ، عميق المضمون ، متجاوزا الى حد كبير ملالة السرد ، وجفاف الحدث التاريخي ، وكان من راي الشاعر ان « القوة هي كنه الشعر الملحمي ، فما ينهض الا بها ، كما لا تنهض القلعة المنيفة الا بالصفاح والعمد ، والعتبات العريضة ، والادراج الضخمـة ، والابـراج السامقة ، والساحات الفيح .. فيخلق كل ذلك جوا من المناعة والفخامة » (مقدمة عيد الرياض — ص ٣٣) .

الجزالة في عيد الغدير : ولسنا لنذهب بعيدا ، من اجل التأكيد على الجزالة المبنوية والمعنوية ، في شعر بولس سلامة الملحمي ، وها نحن ننهل من اقرب موارده الينا ، فنقرا من فاتحة « عيد الغدير » قوله في مأساته وآلامه :

يـا مليك الحياة انزل عليـا عزمة منـك تبعث الصخر حيا
جود كفيك ان تشا يملا العيش نمـاء وينعش الجـدب فيـا

يوقظ الزهر ، فالربيع على التل   ضحوك الالوان ، طلق المحيا

كلما افتر برعم داعبته   كف ريح تقول للطيب : هيا

واهب النور والندى للروابي   أولني من جمال وجهك شيا

طال في منقع العذاب مقامي   واستراح الشقاء في مقلتيا

فنسيت النهار من طول ليلي   أترى الليل شرعك الادبيا

ليتني أبصر النجوم فاهدي   في العشيات بسمة للثريا

ان حظي من الحياة سرير   ضرت منه ، فلم يعد خشبيا

حطمت سورة العذاب يراعي   واستباحت فمي ، وغلت يديا

أتلوى على الجراح صباحا ،   ويفت الناسور عظمي عشيا

فتعجب لسابح في جحيم   صاغه الخطب زورقا بشريا

وفي عيد الرياض : ومن اقرب موارد الشاعر في « عيد الرياض » ننهل نهلة اخرى ، لكي نقف على النفس الملحمي البطولي الذي شاع في شعر بولس سلامة .

فمن فاتحة « عيد الرياض » ، نقتطف ما انشده بولس سلامة في مولد الرسول العربي الامين محمد عليه الصلاة والسلام ، وفي نشره الرسالة الزهراء :

هللي يا جزيرة العرب ، فالاسحار   لاحت ، وانجابت الظلماء

واذكريه ، على الزمان ، صباحا   لألأت من سنائه الارجاء

هضبات الحجاز أضحت شموسا   فاستضاءت بنورها صنعاء

هز أم القرى وليد يتيم   وتدلى على الربى اللألاء

أنصت الدهر خاشعا وتولت   سدرة الوحي والبيان حراء

اي غار ذاك الذي وسع   الرؤيا ، ومن وقرها ينوء الفضاء

كيف لم تنفجر زواياه أشلاء   فتهوي لزمزم الاحناء

قال جبريل : باسم ربك اقرأ   فالبرايا وأهلها اصفياء

فتلاها ، فبث في الكون كونا   كتب الدهر سفره والبقاء

كل قول لغو ، وكل مقال   عجمة حين ينطق الانبياء

التغني بلغة الضاد : ويا طالما تردد فخر بولس سلامة باللغة العربية ، وتنويهه بخدمات اللبنانيين لها ، ورفعهم اياها من رسوف الانحطاط . يقول من قصيدته في ذكرى « شاعر الارز » شبلي الملاط :

قومي حماة الضاد بعد هوانها   ورسوخها بالذل والاسمال

نسجوا لزينتها الربيع مطارفا   فجرت على الاقلام نشر غوال

دارت مدار الشمس الا انها   لم ترتهن بتكسف وزوال

وشاعر الرقة والعذوبة : غير ان الجزالة التي شاعت في شعر بولس سلامة ، والقوة التي ضجت بها جنبات مطولاته الملحمية ، لم تكن لتعني ان الرجل كان بعيدا او عاجزا عن الرقة والعذوبة ، في صناعة الشعر . فلقد تأتى لبولس سلامة ان يجعل في شعره لكل حادث حديثا ، ولكل مقام مقالا ، فاذا انت سمعت مثل قوله :

صديق نفسي ، صديق الشامخات ذرى   حياك الف عبير من عشايانا

فللدوالي بسمع الليل وشوشة   يمدها الفنن المياد الحانا

اذ كل همس يراه القلب عندلة   وكل تل يراه الطرف نيسانا

كانما العيد ابيات القصيد غدا   يزهو ، فيخلق في الاشياء الوانا

احسست الرقة والعذوبة ، والديباجة النضرة ، والخيال المجنح ، والصور الشعرية المتزجة برؤى وايحاءات لطيفة ، تؤكد جميعا ان قلم بولس سلامة كان يرق ساعة الرقة ، ويعرف كيف يستقوي ويشتد ، ساعة يصوغ شعرا قويا شديد الوقع والايقاع ، كما هو شأن الشعر الملحمي البطولي .

وشاعر غزلي : وعلى ندرة ما نظم بولس سلامة من شعر غزلي وجداني ، لاسباب شتى ، بعضها يرجع الى نشأته على يد والد قروي متشدد يهوى بطولات عنترة والزير ابي ليلى المهلهل وسيف بن ذي يزن ، ويقرىء ابنه الفتى سيرهم وحكايات معاركهم ، وينمي في نفسه حب المكارم العلى ، وبعضها الآخر يرجع الى زواجه الباكر من جهة بالانسانة النبيلة الصابرة السيدة ادال عجيمي التي كانت شريكة حياته ومأساته ، ومن جهة ثانية الى الخطب الجسدي الذي اقعده ، فقلما اضطرب في عالم الناس ، الا لماما ، فان لشاعرنا قصائد غزلية رقيقة اشتهرت منها اثنتان ، يقول في أولاهما ، وهي بعنوان « الى شاعرة » :

عيناك من صفو الضياء   السمح او صحو الضمير

من عالم عبر الظنون   أطل من ملأ طهور

من بهجة الاشراق والرؤيا   ومن عمق الدهور

فاء الجمال الى جبينك   او الى الصبح القرير

ولو ان حسنك في الزمان   لجل عن ليل ضرير

ولراحت الاكدار تفرق   في الشعاع المستطير

ويقول في القصيدة الثانية ، وهي بعنوان « وردة الغاب » :

يا وردة الحب المصون   ورسالة الشفق المبين

اكمامها منسوجة   من مدمع البكر الضنين

فكأنها من رقة   وهم يموج في الظنون

لا لمس يجرحها ، فقد   حرمت على غير العيون

بيني وبينك وهدة   حمراء من ألم كمين

فلذ الجحيم لهيبها   او بعض انفاس الحزين

وجدير بالذكر ان هذه القصيدة هي احدى قصائد الديوان المخطوط الذي دونه بولس سلامة في دفاتر متعددة اختلستها يد اثيمة او جاهلة مما سرق من متاعه ، يوم نقل اثاث بيته سنة ١٩٤٠ الى منزل آخر ، وكان الشاعر يصارع سكرات الموت في مستشفى الصنائع ببيروت . ثم انها انتظمت في « مختارات من شعر بولس سلامة » ، ومن أسف ان بولس سلامة ، فيما عدا ملحمتيه ومطولته « عيد الستين » لم يصدر ديوانا كاملا يضم اعماله الشعرية ، على تعدد مواضيعها واغراضها .

وقصائده الوطنية : والشاعر الملحمي بولس سلامة لم يهمل جانب الوطن ، في قصائده ، لا بل انه كان يغتنم كل مناسبة ، ويسخر كل موضوع اتيح له ان يدير قوافيه عليه ، لكي يعلي حب لبنان ، ويمجد بنيه ، ويزهو بتاريخه ، ويدعو الى اعزازه عن طريق نشر روح الحب والسماح بين ابنائه .

ولعل اروع ما كتبه من شعر وطني رومانطيقي وجداني يتمثل في قصيدته الشهيرة « لبنان » ، ومنها قوله :

جاور الانجم ، واحتل السحابا   جبل مهد للفردوس بابا

تستحم الشمس في مفرقه ،   فاذا غابت فقسرا واغترابا

تحمل الاضواء للدنيا ، وقد   نقلت عن جفن لبنان الخضابا

الى ان يقول :

يا جبال الارز يا اخت السما   طاب فيك الموت بعد العيش طابا

وها هو في ذكرى شبلي الملاط ينطلق في تغنيه بلبنان ، « نهرا ، واوداء ، وخضر تلال » :

لبنان لم يحلم بمثل جباله	فن ، ولا سمت الرؤى لمثال
أغنى الوجود وجوده فكانه	في مستهل الدهر مهد جمال
وطني محط النسر هام قناته	وسفوحه وقف على الاشبال
نبت الفخار هنا ، فكل ثنية	قدس لأمجاد ، وسفر تعالي

ثم ها هو في قصيدة له عنوانها « حصن الضاد » يتغنى بلبنان ، ودماثة بنيه (قبل ان تنشب المأساة اظفار بعضنا وانيابه في جسد الوطن) ، فيقول :

لبنان حصن الضاد صائن عزها	كالليث يمنع في النوائب غيلا
من بيض علياء المآذن نورت	ومن الكنائس اطلقت ترتيلا
لبنان شرع الحب شرعك منذ ما	وعت الحضارة للخليل خليلا
بسط الجمال عليك فيض بهائه	فتالق الصخر الاصم جميلا
فلمحت رضوانا بكل خميلة	ووراء كل غمامة جبريلا
وشمخت مثانا ، وجدت سماحة	ونعمت أظلالا ، ولنت مقيلا

لبنان .. وفلسطين : ولقد طال عهد بولس سلامة بنظم الشعر ، تغنيا بلبنان ، كما تغنى بكل قضية حق ، وفي الطليعة قضية الحق العربي المغتصب في فلسطين التي افرد لها مطولة شعرية دعاها « فلسطين واخواتها » ، والتي عاد الى المجاهرة الحرة بالحق العربي فوق ارضها ، في حفل تكريمه بالندوة اللبنانية ، حيث قال :

فلسطين والقدس الشريف كلاهما	لكل نبيل النفس أمنية البال
ترف على مهد المسيح قلوبنا	وجامع طه الطيب الذكر والآل
عزيز علينا مهبط الوحي غارقا	بدمع الثكالى ، وظلمة ارمال
فلا العين عنخطب الشقيقة اعرضت	ولا القلب عما في كوارثها سال

قصائده الاخوانية : وكان بولس سلامة يشكو ، بحق ، من تضاؤل الاصدقاء ، وانفراط عقدهم من حوله ، بعد ان اقعده المرض ، وانتفت مصلحة الناس ، عنده ، وذلك على عكس ما كانت حاله ، يوم كان سليم الجسم ، يتسنم ارقى مناصب القضاء في لبنان .

ولعلي واجد لدى القارىء عذرا مقبولا ، ان اشرت ببعض الانانية الى ان الرجل كان يصرح في معظم احاديثه المذاعة او المنشورة في الصحف والمجلات ، بأن عدد اصدقائه الخلص لا يكاد يتجاوز عدد اصابع اليدين ، وكان يذكرني وخليل رامز سركيس في الطليعة ، ويذكر عددا آخر من الاصدقاء اخشى ان يفوتني اسم واحد منهم ، فأقع تحت طائلة الملامة ، لكنه كان قطعا يذكر اسماء البير اديب ، ورشاد دارغوث ، وحسيب عبد الساتر ، ووديع فلسطين .

لذلك ، لم يكن غريبا ان يقل اهتمام بولس سلامة بالادب الاخواني ، بعد الذي عاناه من الم بسبب قلة الاصدقاء المتجردين من المصالح ، ولكنه فيما كتب من شعر اخواني ، لم يتخل عن المستوى الرفيع الذي انطبع به ادبه وشعره .

ولعلي اعتذر مجددا عن انانيتي ، ان اشرت الى القصيدة التي تلطف بولس سلامة فنشرها في مجلة «الاديب» (عدد نوفمبر ١٩٧٧) ، موجهة الي حول اسماء بناتي وقد عمدت الى نظم قصيدة اخوانية جوابية ، التزمت فيها نفس الوزن والقافية ، ونشرت ايضا في العدد التالي من « الاديب » (ديسمبر ١٩٧٧) .

نثره يضارع شعره : واذا كان لنا ان نكتفي ، في هذا المقام ، بالقدر الذي قدمنا من فنونه الشعرية ، فحسب بولس سلامة انه ، كما المحنا غير مرة ، كان صاحب كتابات نثرية تضارع شعره ، وربما تفوقت عليه في بعض الاحيان ، ولعلنا ، في مقام آخر ، نخص هذه الكتابات النثرية ببحث مفصل مستقل .

لكن ثمة كتابات نثرية نقدية اخرى ، كتبها بولس سلامة ، ونشرها في مواضع مختلفة لكنها لم تنتظم في كتاب ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ــ مقدمته لكتاب « مصير » لخليل رامز سركيس .

٢ ــ مقدمته لكتاب «القضية الكبرى» لزاهية ايوب .

٣ ــ نقده لكتاب « المؤامرة الكبرى على اللغة الفصحى » ، لفوزي سابا ، وكنت قد توليت كتابة مقدمة هذا الكتاب .

٤ ــ مقدمتاه لديواني « دم وفم » وكتابي « المعلقات العشر » .

٥ ــ نقده لكتابي : « خليل مطران شاعر الاقطار العربية » ، و « جمال عبد الناصر ، رائد التاريخ العربي الحديث » .

٦ ــ نقده لكتاب « حكايات لها » لجوزيف ابي ضاهر .

٧ ــ كلمته في مهرجان تكريم البير اديب .

٨ ــ كلمته في مهرجان تكريمي .

وسوى ذلك من الكتابات النثرية التي يجدر بلجنة احياء ذكراه ان تتولى طباعتها ونشرها على اوسع نطاق .

منزلته الادبية : ولسنا نتجاوز الحقيقة والواقع ، ان نحن قررنا بأن من الندرة بمكان عظيم ، ان ترى قلما منصفا من الاقلام العربية ، لم يرحب بعطاء بولس سلامة او لم يعرف بمقامه الادبي الرفيع ، وعلى وجه اخص بريادته الشجاعة لفن الشعر الملحمي في الادب العربي . ولعل اروع شهادة على ذلك قول مارون عبود : « فليستح اولئك الذين سيؤلفون الملاحم بعد بولس سلامة » .

ولقد تيسر لي من لطائف السوانح ، ما جعلني اقدره حق قدره ، في يوم مهرجانه ، حيث قلت فيه :

انت نور على جبين المعالي	وحداء على فم العبقريه

٦٠ + ١

الرفيقان علـى الدرب الحزين ... هـا هما يـا صاحبي يلتقيان
لست ادري اينا الصلب المتين ... في ضياع لـم نجد فيه الامان
قف ، نر القلم الذي لف السنين ... هـل لنـا فيه مكان او زمان
اينـا اضنـى اخـاه بالحنين ... والـذي يرجـوه مجهول المكان

انـت يـا خـير رفاقي توأمي ... قـد دخلنا هـذه الدنيا معـا
لـم نكـن ندري ولمـا نعلـم ... عـن وجـود حـير المستطلعا
لا ولـم نفهـم ولمـا نفهـم ... ـ والاماني تستحث الادمعا ـ
غـرض العرس وقصد المأتم ... وهـوى حـل وحبـا ودعـا

يا رفيقي في الصبا الحلو الجميل ... وربيـع مـن أفانـين الزهور
عمـر فيـه الصبا راح قليـل ... والشباب الفض برق من غرور
فارس الهيجاء كالشيخ الجليل ... لـم يعـد يقفز بالسيف البتور
وعدو الخوف في عجـز العليل ... خائف مـن كـل مستور يثور

سرنا انـا سعينا كـي نكون ... ليس للانسان الا مـا سعـى
كيف نرضى في الدنى ان لا نكون ... فيلاقي الظلـم فينـا مرتعـا
كم رفضنا الذل حتى لا نهون ... مـن رأى الظلم جميلا ممتعا
فاغتربنـا في سهـول وحزون ... وشربنـا كـل هـم مترعـا

نكتوي بالقيظ في الارض الخلاء ... ونعاني البرد مـن غـير غطاء
يقبل الصيف كمـا يأتي الشتاء ... ونبـات العمر محروم النمـاء
تزحـف الصحراء بالرمل الهباء ... كيف يبقى تحتـه طين ومـاء
مالذي ابقى لنـا طول الشقاء ... غـير جرح القيد ينزو بالدماء

طالمـا اخصوا لسـان الشاعر ... واكتفوا بالشعر من نظم الغراب
لا تضـع قفـل العدو القاهر ... في فـم الفكر وعنوان الكتاب
حـرت في الماضي وامر الحاضر ... وغد امسي ويومي في الحساب
فامش لكـن بعصاة الحـاذر ... في الدياجي فلقد ولى الشباب

عصيفرة ـ تعز

ص.ب رقم ٥٨٠٦

علي محمد لقمان

بوحك البوح يا نجي القوافي ، ... وصفـي اللحـون في الاغنيـه
أي يـم نصبت فيـه شراعـا ... لـم تهدهـده موجـة لؤلؤيـه
شاعر المجد ، يا وديع الاماني ... ليـس الاك للعلـى أمنيـه
كـل جرح ، وان تنزى دماء ... يرقص الوحي في فم الشاعريه
فاعذرني ، اذا تهاوى مديـح ... دون آفـاق شعـرك الفلسفيه
يخجل الشعر أن يسمى مديحا ... أو ثنـاء تنـد عنـه الحميه
ان شعراً أقوله فيـك زهـوا ... لهو كالحب ، من خشوع النبوه

رضي من دنياه بالاغفاء : والآن ، وقد رحل بولس سلامة الى رحاب الله ، فان اصداء « أمله » ما تزال تتردد في مسامع الدنيا :

أواه ، لـو كان الرقاد يزورني لرضيت مـن دنياي بالاغفاء !

أتراه الآن ، وقد اغفى قرير العين ، ناعم البال ، مطمئنا الى انه وفى قسطه للعلى ، يلتفت من مشرقه الذي لا افول بعده ، فتتراءى له بشرى السماح الجديد ، في وطن لا بد ان يولد من جديد ؟

بيروت ـ شارع الجامعة العربية

بناية اسكندراني رقم ٣

فوزي عطوي



الدكتور احمد الشرباصي

حول خامس الراشدين

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

اطلعت في مجلة الاديب الغراء عدد يوليو واغسطس ١٩٧٩ م على مقال للاستاذ فوزي عطوي ، وعنوان هذا المقال « عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين » . وهو مقال طويل النفس استغرق نحو ست صفحات من صفحات المجلة ، وظننت في اول الامر ان المقال يدور حول كتابي « خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز » ، ولكني وجدت المقال يدور حول كتاب للاخ الدكتور محمد عمارة بنفس الاسلوب تقريبا عن عمر بن عبد العزيز ، وقدرت اول الامر ان الاخ الاستاذ فوزي عطوي سيشير الى كتابي الذي ظهر منذ عشرين عاما ، فهل يأذن لي الكاتب الاديب ان انصف نفسي بكلمة فيها انصاف للحقيقة والتاريخ .

في سنة ١٩٥٩ اصدرت مطابع الشعب كتابا لي في جزءين كبيرين تحت عنوان « خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز » تأليف احمد الشرباصي امين الفتوى والاستاذ بالازهر الشريف ، ومن العجيب اني جعلت الباب الثاني منه تحت عنوان « خامس الراشدين » وجاءت فيه هذه المعلومات :

« استفاضت الاخبار التاريخية باطلاق لقب «الخليفة» على عمر بن عبد العزيز ، ويستطيع المطالع ان يجد هذه الاخبار في المراجع التي بسطت الحديث عن هذا الخليفة الورع الزاهد ، مثل كتاب « سيرة عمر بن عبد العزيز » الذي صنفه الحافظ جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي ، ومثل كتاب « سيرة عمر بن عبد العزيز » المروي عن الامام مالك بن انس ، ومثل كتاب « البداية والنهاية » لابن كثير ، وغيرها .

ولنذكر هنا بعض هذه الاخبار :

حدث علي بن الحسين قال : « اخبرني خارجة بن مصعب عن ابن عون عن مجاهد قال : المهادي سبعة : مضى خمسة ، وبقي اثنان . قال خارجة : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم ... اي هؤلاء الخمسة الذين مضوا » .

وحدث ابو عبيدة السري بن يحيى بن ابي هنادين قال : « سمعت قبيصة بن عقبة يقول سمعت سفيان الثوري يقول : الخلفاء خمسة : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم » .

وقد رواه قبيصة عن عباد بن سفيان قال : « حدثنا قبيصة قال : حدثنا عباد السماك قال : سمعت سفيان يقول : ائمة العدل خمسة : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز » .

وفي رواية قال عباد السماك : « سمعت سفيان الثوري يقول : ائمة العدل خمسة : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز . من قال غير هذا فقد اعتدى » .

وقال قبيصة في رواية اخرى : « سمعت عباد السماك يقول : سمعت الائمة خمسة : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز » .

وحدث مزاحم الخاتاني قال : « حدثني عمي ابو علي عبد الرحمن بن يحيى بن خلقان انه ذكر لأحمد بن حنبل انه يروى عن سفيان الثوري انه قال : ائمة الهدى ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ، فقال له احمد ابن حنبل : هذا كذا هو » .

وكثير من الناظرين في تاريخ الامة الاسلامية يعتبرون عمر بن عبد العزيز المجدد الاول للاسلام على رأس المائة الاولى من الهجرة .. ويا لها من منزلة سامية .

حدث محمد بن الحسن بن الجنيد قال : « سمعت عثمان بن علي يقول : سمعت حميد بن رنجويه النسائي يقول : قال احمد بن حنبل : يروي في الحديث : « ان الله يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الامة دينها ». فنظرنا في المائة الاولى ، فاذا هو عمر بن عبد العزيز ، ونظرنا في المائة الثانية فنراه الشافعي » .

والواقع ان الفترة القصيرة التي قضاها الامام العادل عمر بن عبد العزيز في خلافته ، كانت عودة مباركة الى هذا العهد النبوي المشرق الذي استفاضت انواره على عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى عهد الخلفاء الراشدين الاربعة رضوان الله عليهم اجمعين .

واذا كنا نرى الخيرات والبركات تفيض على ايدي هؤلاء الاربعة الراشدين ، فيجب ان نتذكر ذلك التمهيد الطويل الذي قام به الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ليجعل الطريق لمن بعده معتدلا مستقيما .. ومن هنا اقبل كل خليفة من هؤلاء الاربعة ، فاستقام وتابع ، وزاد في الخير .

ولكن عمر بن عبد العزيز جاء في فترة عصيبة : ظهرت فيها طوائف واحزاب ونبتت خلالها فتن ومحن ، واتسعت الفجوة بين الحاكمين والمحكومين ، وتحدث الناس عن المظالم والمآثم ... فاذا عمر يقبل اقبال الفجر الصادق فيرد المظالم ، وينصف المظلومين ، ويؤدب الخارجين ، وينشر السلام والامان والاحسان بين جميع الناس .. فلا عجب ان يجعله المؤرخون خامس الخلفاء ، عليه رضوان الله » .

واضيف الى ذلك انه في سنة ١٩٥٦ اي قبل ظهور الكتاب السابق ذكره اصدرت مسرحية اسلامية بعنوان « الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز » وقد اشرت في فاتحة تصديرها الى لقب خامس الراشدين فقلت : « هذه مسرحية اسلامية تاريخية ، كتبتها عن الامام التقي الصالح ، والخليفة الراشد الخامس ، أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الاموي المشهور ، الذي يضرب — كجده الفاروق عمر بن الخطاب — مثلا للعدالة والخشية من الله ، والذي يجب ان نعمم نشر سيرته بمختلف الوسائل بين الشباب الشيوخ ، وبين الطلاب والطالبات ، وبين الرجال والنساء. وبين الحاكمين والمحكومين على السواء ، لانها دستور وتقويم وضياء » .

واضيف ايضا انه في سنة ١٩٦٢ نشرت لي وزارة الثقافة بمصر عن طريق مطبعة الدار القومية كتابا طبع مرتين بعنوان « عمر بن عبد العزيز » لابن كثير . وقد علقت عليه وحققته واضفت اليه ، ونصصت على انه خامس الراشدين ، حيث قلت في فاتحة التقديم : « اعجبتني كثيرا شخصية الحاكم العادل خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وبدأ هذا الاعجاب منذ الصغر ، وقد ترجمت عن اعجابي هذا في فاتحة الجزء الاول من كتابي « خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز » حيث قلت عنه : « عمر بن عبد العزيز ... هذا الاسم الباهر الرائع المنير اللامع ... هذا الاسم الذي يشرق بسيرة صاحبه اشراق الشمس ، وينير انارة البدر ، ويرق بخلقه رقة النسيم الوادع ، ويشفي بحكمته شفاء الدواء الناجع ، ويقوي في عقيدته قوة الحق الصارع ، ويكون مع الضعفاء ماء سلسلا نميرا ، ومع العتاة الاشداء اسدا هصورا . هذا الاسم الذي يتردد في فم الزمان حينا بعد حين ، ومرة بعد مرة ، فاذا سمعه المكروبون احسوا فيه نسمات العزاء ، واستروحوا فيه رائحة التخفيف والمواساة ، واذا سمعه البغاة او الطغاة احسوا له في نفوسهم واعماقهم هزة تخيفهم وتزعجهم ، هذا الاسم الذي عرفته واحببته ، والفته وصادقته منذ ادركت معرفة الرجال في التاريخ ، فكان له في نفسي مكانة ، وفي خيالي صورة ، وعلى لساني حديث ، وفي قلمي كلام » .

ومعذرة فاني اكتب هذه السطور والمرض يضنيني ، وشكرا للاخوين العزيزين الدكتور محمد عمارة والاستاذ فوزي عطوي ، وشكرا لمجلة الاديب وصاحبها ان اتسع صدرها لهذه الكلمات .

القاهرة **احمد الشرباصي**

عـثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

اذا جاءت هدى جئت ، اذا ما جاءت هدى جئت

هاتان الجملتان تحملان معنى واحدا وصحيحتان . والفرق بينهما ان الثانية جاءت فيها (ما) الزائدة بعد (اذا) .

ولما كانت (ما) تدل على النفي احيانا ، فقد يتبادر الى الذهن ان معنى الجملة الثانية هو : اذا لم تجيء هدى جئت . فتجنبا لذلك ، أرى ان نهمل استعمال (ما) بعد (اذا) ، لان وجودها او حذفها لا يؤثر في الجملة من حيث معناها او بلاغتها ، ولانها زائدة . وفي حذفها ايجاز علينا ان نتمسك به ، الا في الشعر حيث يكون وجودها ضروريا احيانا محافظة على الوزن ، على ان لا نخطىء من يضعها بعد (اذا) في النثر .

امجاد ، مجدة ، ماجدون ، مجيدون

ويخطئون مـــن يجمع الماجد على امجاد ، ويقولون ان الامجاد (ذوي المجد) هو جمع (مجيد) بفتح الميم ، اعتمادا على قول دوزي وابراهيم اليازجي (في مجلة الضياء) ، والمتن ، والوسيط .

ولكـــن :

(أ) يجمع الماجد والمجيد كلاهما على امجاد ، كما قال الاساس ، واللسان ، والتاج ، والمد ، واقرب الموارد . وذكر اللسان والتاج ان جمع ماجد ومجيد على امجاد هو مثل اشهاد ، جمع شاهد وشهيد .

(ب) يجمع الماجد على مجدة (بفتح ففتح) ، لان جمع التكسير فعلة (بفتح ففتح) مقيس في كل وصف على وزن فاعل ، لمذكر ، عاقل ، صحيح اللام ، نحو : ماجد ومجدة ، وكامل وكملة ، وكاتب وكتبة ، وبار وبررة (بفتح ففتح في جموعها كلها) .

وقد ذكر هذا الجمع الطبري (٣ : ١٣٤) والمتن ، ولم تذكر المعجمات هذا الجمع ، لانه قياسي .

(ج) انفرد المتن بقوله ان جمع ماجد هو ماجدون .

وهو جمع قياسي ليست المعجمات في حاجة الى ذكره . اما المجيد فجمعه القياسي مجيدون ايضا .

وذكر ابن الاثـــير في حديث علي رضي الله عنه : « اما نحن بنو هاشم فأنجاد امجاد » .

اما فعله فهو : (أ) مجد (بفتح ففتح) يمجد (بضم الجيم) مجدا ، فهو : ماجد .

(ب) مجد يمجد (من باب كرم) مجادة (بفتح الميم) ، فهو مجيد .

فضة محض ومحضة

ويخطئون من يقول : فضة محض (بفتح فسكون) ، اي غير مشوبة بمعدن آخر ، لان الاساس ذكر في مجازه : « عربي محض ، وسيد محض ، وفضة محضة » .

والحقيقة هي ان كلمة (المحض) يستوي فيها الذكر والانثى والجمع ، وفي وسعنا تثنيتها وجمعها وتأنيثها ، كما يقول : سيبويه ، وابو عبيد (هذه عربية محضة ومحض) ، والتهذيب ، والصحاح ، والعباب ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس (فضة محض ومحضة) ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ويقول المصباح ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ان المحض للجميع اجود من المطابقة . ويزيد محيط المحيط واقرب الموارد قولهما : لان (المحض) في الاصل مصدر . (راجع مادة « بحث » في « معجم الاخطاء الشائعة » للمؤلف) .

محضه الود ، أمحضه الود

ويخطئون من يقول : امحضه الود ، ويقولون ان الصواب هو : محضه (بفتح ففتح) الود ، لان الاصمعي انكر (أمحضه الود) . وقال الحريري في المقامة السنجارية :

ونديم محضته صدق ودي   اذ توهمته صديقا حميما

ولكـــن :

(١) قال البطليوسي في الاقتضاب : « وقـــد انكر الاصمعي اشياء كثيرة ، كلها صحيح » .

(٢) لا تستعمل المقامات جميع الكلمات في اللغـــة العربية .

(٣) يجيز لنا ان نقول : محضه الود او النصح ، وامحضه : اخلصه اياه (مجاز) كل من : ادب الكاتب في باب ابنية الافعال ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس الذي قـــال ان (محضتك الـــود والنصح ، وامحضتكه هما مـــن المجاز) ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج الذي روى (امحضه) عن ابي زيد ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

اما ابن دريد فقد انكر قولنا : محضتك الود ، وقال : « امحضتك في الود لا غير » .

اما (محض فلانا) فتعني : سقاه لبنا خالصا لا ماء فيه .

وفعله محضه يمحضه محضا (من باب « فتح ») .

امحى (الميم مضعفة) ، انمحى ، امتحى

ويخطئون من يقول : انمحى الشيء ، ويقولون ان الصواب هو : امحى (بتضعيف الميم) الشيء ، اي : ذهب اثره .
والحقيقة هي اننا نستطيع ان نقول :

(أ) امحى (الميم مضعفة) : الليث بن سعد ، والتهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(ب) وانمحى : الليث بن سعد (الاصل) ، والتهذيب (الاصل) ، وهامش الصحاح ، والاساس ، واللسان (الاصل) ، وهامش القاموس ، ومستدرك التاج ، والمتن .

(ج) وامتحى : الليث بن سعد (لغة رديئة) ، والصحاح (لغة ضعيفة) ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار (ضعيفة) ، واللسان (ضعيفة) ، والقاموس (قليلة) ، والتاج (قليلة) ، ومحيط المحيط (ضعيفة) ، واقرب الموارد (ضعيفة) ، والمتن (ضعيفة) .

وقال اللسان والمتن ان الفعل (امحى) اجودها .
وقال محيط المحيط ان اصل الفعل (امحى) هو (انمحى) ، فقلبت النون ميما وادغمت .

وجاء في اللسان : هنالك : محا لوحه (بفتح الحاء) يمحوه محوا ، ويمحيه محيا ، فهو ممحو وممحي . صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها ، فادغمت في الياء التي هي لام الفعل » .

مخرت السفينة ، مخرت السفينة الماء

ويخطئون من يعدي الفعل (مخر) ويقول : مخرت السفينة الماء ، ويكتفون بقول : مخرت السفينة (جرت تشق الماء بصوت) ، اعتمادا على قوله تعالى في الآية ١٤ من سورة النحل : (وترى الفلك مواخر فيه) . ويعتمدون ايضا على ما جاء في معجم الفاظ القرآن الكريم ، والصحاح ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والمختار ، والقاموس ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ولكن :

جاء في النهاية : « يقال : مخرت السفينة الماء » .
واجاز استعمال الفعلين : اللازم (مخرت السفينة) ، والمتعدي (مخرت السفينة الماء) كليهما : اللسان ، والتاج ، والمد .

واكتفى بذكر الفعل المتعدي كل من احمد بن يحيى (ثعلب) ، والعباس بن محمد (ابو الهيثم) ، والاساس .
واختلفوا في حركة عين المضارع ، فالوسيط اكتفى بضمها ، واقتصر القاموس ومحيط المحيط على فتحها .

واجاز ضمها وفتحها كليهما كل من الصحاح ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والتاج ، والمد ، واقرب المورد ، والمتن .

اما فعله فهو : مخر (بفتح ففتح) مخرا (بفتح فسكون) ومخورا .

ومن معاني مخر :

(١) مخر السابح : شق الماء بيديه .

(٢) مخر الزارع الارض يمخرها (بفتح الخاء) مخرا : شقها .

(٣) مخر المحور مداره : اكل منه فاتسع .

(٤) مخر البيت : اخذ خيار متاعه فذهب به .

(٥) مخر الذئب الشاة : شق بطنها .

المدة (بكسر فتضعيف)

ويسمون ما يجتمع من القيح في الجرح مدة (بفتح فتضعيف) .
والصواب هو المدة (بكسر فتضعيف) : الصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط.

ويقول الاساس ، والمصباح ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن : اذا كان القيح في الجرح كثيرا وكثيفا فهو مدة (بكسر فتضعيف) ، وان كان رقيقا فهو صديد (بفتح فكسر) .

وارى ان نتغاضى عن التفريق بين المدة والصديد ، لان امهات المعاجم كالصحاح ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والوسيط تكتفي بقولها ان المدة هي القيح ، دون ان تصفه بالكثافة او الرقة .

ماء ، مساء ، صفاء ، ضياء

يضعون مدة (ـــ) على الف الكلمات المدودة المذكورة مآء ، ومسآء ، وصفآء ، وضيآء . وهذا يحملنا على ان نقراها ماأء ، ومساأء ، وصفاأء ، وضياأء ، لان المد ، كما تقول كتب الصرف ، يدل على الف حذفت خطا بعد همزة بصورة الالف . نحو : آمن ، أصله أامن .

ولست ارى مسوغا لكتابة المدة ، للاسباب الآتية :

(١) لاننا قد نخطىء في قراءة الكلمة المدودة ، اذا كنا لا نعرفها ، فنقرا كلمة سنآء : سناأء (بفتح فسكون) ، على وزن (فعلال) .

(٢) ان المعاجم القديمة كتهذيب الفاظ ابن السكيت ، والصحاح ، واللسان ، والقاموس ، والتاج لم تضع هذه المدة الزائدة .

(٣) ان المعاجم الثلاثة التي اصدرها مجمع اللغة

العربية بالقاهرة : معجم الفاظ القرآن الكريم ، والمعجم الكبير ، والمعجم الوسيط ، وان معجم متن اللغة الذي اصدره عضو في مجمع اللغة العربية بدمشق ، بعد ان وافق المجمع على اصداره ، لا تضع المدة على الالف في آخر الاسماء الممدودة .

(٤) ان في حذف هذه المدة الزائدة في الطباعة توفيرا كبيرا لوقت منضد الحروف .

مدى البصر ، مد (بفتح فتضعيف) البصر

ويخطئون من يقول : هذه قطعة ارض قدر مد البصر ، لان ابن قتيبة ، والقالي في البارع ، وابن سيده في المحكم ، والحريري في درة الغواص انكروا صحة قول مد البصر ، وقالوا ان الصواب هو : مدى البصر .

ولكـن :

نستطيع ان نقول :

(أ) مدى (بفتح ففتح) البصر : في الحديث (ان المؤذن يغفر له مدى صوته) ، اي ان المكان الذي ينتهي اليـه الصوت ، لو قدر ان يكون بين اقصاه ومقام المؤذن ذنوب ، تملأ تلك المسافة لغفرها الله له .

وممن ذكـر (مدى البصر) ايضـا : الصحاح ، والاساس ، والنهاية ، والمغرب ، والصاغاني ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، ومحمد الفاسي ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(ب) ومد (بفتح فتضعيف) البصر : روي الحديث المذكور في (أ) : يغفر له مد (الدال مضعفة مفتوحة) صوتـه ، والصحاح ، ومجاز الاساس ، والنهايـة ، والصاغاني ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس، ومحمد الفاسي ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ،والمتن (مجاز ، والمدى افصح واولى واكثر) ، والوسيط .

وجاء في الوسيط :

(١) المدى : المسافة . و ــ الغاية .

(٢) مدى البصر : منتهاه وغايته . يقال : هو مني مدى البصر . وكذلك مدى الصوت ، ومدى الاجل .

ويقال : لا افعل كذا مدى الدهر : طوله .

المـرء والانسان

ويطلقون كلمة (الانسان) على الرجل وحده ، لان في اللغة العربية كلمة (انسانة) ، التي تدل على انثى الانسان (راجع معجم الاخطاء الشائعة للمؤلف) ، كما تدل المرأة على مؤنث المرء .

وقد اخطأوا هنا حين قالوا ان كلمة (الانسان) تطلق على الرجل وحده ، واصابوا حين ذكروا ان (الانسانة) هي مؤنث الانسان ، وان جاز ان تقع كلمة الانسان ايضا على الذكر والانثى .

فممن قال ان كلمة الانسان تطلق على الذكر والانثى كليهما : الآية ٥٣ من سورة الاسراء (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ، والآية الثانية من سورة العلق (خلق الانسان من علق) ، وكتاب خلق الانسان لثابت ابن ابي ثابت ، والصحاح ، وكتاب التلخيص لابي هلال العسكري ، والمخصص لابن سيده ، واللسان ، والمصباح ، وكتاب التعريفات للجرجاني ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، وبادجر ، والمتن .

مرئي (بفتح فسكون) ، امرئي (بكسر الراء) ، مرقسي (بفتح فسكون ففتح)

ويختلفون في النسبة الى امرىء القيس ، فيقولون :

(١) مرئي (بفتح فسكون) : القاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

(٢) وامرئي (بكسر الراء) : الصحاح ، واللسان ، والمتن .

(٣) ومرئي (بفتح ففتح) : اللسان .

(٤) ومرقسي (بفتح فسكون ففتح) : ابن الجواني في المقدمة ، وقاموس الفيروزابادي في متنـه ، وهمـع الهوامع ، والنحو الوافي .

(٥) وذكر ان (المرقسي) هي نسبة خاصة بالجد الرابع لامير شعراء الجاهلية امرىء القيس الكندي : نصر الهوريني في هامش القاموس ، والتاج ، ومتن اللغة .

ولما كان اللسان قد انفرد ، من دون المعاجم الاخرى ، بذكر النسبة المرئي (بفتح ففتح) ، فانني ارى ان نهملها ، ونخطىء من يستعملها لاننا :

(أ) لا نستطيع الاعتماد على مصدر واحد ، ولو كان ثبتا كاللسان .

(ب) يستحيل علينا ايجاد صلة بين امرىء ومرئي تسوغ هذه النسبة الشاذة التي جاءنا بها اللسان .

محمد العدناني

بيروت ــ شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

الشاعر وديع البستاني والادب الكلاسيكي الهندي

(١٨٨٨ — ١٩٥٤)

بقلم عيسى فتوح

* * *

لا يعرف قراء اليوم كثيرا عـن الشاعر المرحوم وديـع البستاني ، والدور الكبير الذي قام بـه في ترجمة الروائع الادبية الهندية الـى اللغة العربية ، والصلات الطيبة الوثيقة التي نشأت بينه وبين الهند ادبا وتاريخا وشعبا . فقد كان شديد الاعجاب بالتراث الكلاسيكي الهندي ، ولذلك اقبل على ترجمته برغبة وشوق من اللغة الانكليزية التي كان يجيدها اجادة تامة .

ولد وديع البستاني في قرية « الدبيه » قضاء الشوف بلبنان ، ودرس في سوق الغرب ، وتخرج في الجامعة الاميركية ، ثم عمل في الترجمة ، فنقل الى العربية اعمال اللورد أفبرى ، ورباعيات الخيام شعرا ، بالاضافة الى العديد من الكتب المؤلفة .

زار الهند اول مرة عام ١٩١٢ ، فأمضى فيها سنتين كاملتين ضيفا على الشيخ عبد الرحمن آل ابراهيم ، ملك اللؤلؤ العربي ، فأتيح له وهو فيها ان يتعرف بشاعر الهند الاكبر رابندرانات طاغور ، ويعرض عليه ما نقله من شعره الى العربية ، ويطلع على كتب التراث الهندي العظيم .

لم يكتف البستاني بهذه الزيارة الاولى ، بـل عاد فقصدها مـرة ثانية عام ١٩١٥ ، ومكث فيها حتى عام ١٩١٦ ، فقد استهوته الحياة الجميلة فيها ، وبات اسير روائعها وسحر غوامضها ، وعكف فيهـا على الدرس والمطالعة ، حتـى استطاع ان ينقل مـن ادبها الخالد مسرحيتين شعريتين تعتبران من أروع ما كتب في الادب العالمي هما « الشاكنتلا » و « نالا وداميانتي » .

طبعت الشاكنتلا عام ١٩٦٦ بعناية الاستاذ انعام الرحمن ، سكرتير مجلس الهند للروابط الثقافية ، وهي مسرحية شهـيـرة للشاعر الهندي الكلاسيكي كاليداس ، ترجمها عن السنسكريتية « مونيرو ليمس » ، وعربها وديع البستاني شعرا موزونا ، وتمثل روعة الادب السنسكريتي الكلاسيكي بين نظم ونثر ، وتقع في سبعة فصول ، وعدد ابياتها ٨٢٧ بيتا ختمها بقوله :

لا ساد فوق الشعب من ملك ... الا لجلـب النفـع للشعـب
والاهـة الآداب لا عدمـت ... عـز الكرامة مـن الـي اللب

اما مسرحية « نالا ودميانتي » فهي قصة غرامية خالدة من الادب الكلاسيكي الهندي ايضا ، ولعلها تشبه الى حد ما « انشودة الرعاة » للشاعر الروماني «فيرجيل» . وخلاصتها ان « نالا » ملك ساء حظه فقامر بملكه وكان من الخاسرين ، فتاه مع زوجته « داميانتي » في غابة كثيفة الشجر ، حتى افترق كل منهما عن الآخر ، ثم مرت قافلة تجارية بالملكة داميانتي ، فحملتها الى مدينة قريبة لتستريح قليلا ، لكن القافلة رحلت وتركتها وحيدة في الغابة ، فضلت من جديد ، وتنتهي المسرحية اخيرا بلقاء نالا وداميانتي بعد كثير من الصراع والعذاب والالم ...

هذه الحوادث الاسطورية وغيرها ، صاغها البستاني شعرا جميلا رائعا في الف ومئتين وتسعة واربعين بيتا ، بداها بقوله :

كربـك « أندرا » المولى تعالى ... تعالى في ذوي التيجان « نالا »
تألـق حسنـه خلقـا وخلقـا ... كشمس كـان يبهرهـم جمـالا
وكـان الفارس المغـوار باسا ... اذا مـا جال في الهيجاء صالا

ويرجح مؤرخو الادب الهندي ان تكون هذه الملحمة من نتاج عدة شعراء ، وهي من الضخامة بحيث لو وضعت الياذة واوذيسة هوميروس ، وانياذة فيرجيل ، والفردوس المفقود لجون ميلتون ، الى جانبها ، لما بلغت من الطول ما بلغته قصيدة ماها بهاراتا ، ولكن الراي الشعبي لا يرضيه الا ان تكون هذه الملحمة الوطنية لشاعر واحد ، فينسبها الى « فياسا » .

طبعت هذه الملحمة في الهند عام ١٩٧١ في ١٤٦ صفحة من القطع الكبير ، وبلغت حواشيها ستا وثلاثين صفحة ، واذا كان المرحوم وديع البستاني لم يترجم الا ملحمتي « الشاكنتلا » و « نالا وداميانتي » فيكفيه ذلك فخرا ، فقد ارتفع في هذا العمل الجبار العظيم الى مستوى نسيبه سليمان البستاني الذي ترجم الياذة هوميروس شعرا .

عاد وديع البستاني الى مسقط رأسه في لبنان عام ١٩٥٣ ، فاغتنم رجال الادب والفكر فيه هذه المناسبة ، وفراغه مـن ترجمة الشاكنتلا ونالا وداميانتي شعرا ، ليقيموا له حفلة تكريمية كبرى تليق بمكانته ، وفعلا اقيمت هذه الحفلة في قاعة اليونسكو ببيروت مساء السبت في السادس عشر من ايار عام ١٩٥٣ ، حضرها كبار رجال الدولة والصحافة والادب ، وقلده رئيس الجمهورية اللبنانية في ختامهـا وسام الاستحقاق المذهب ، فألقى قصيدته التي يقول فيها :

حي في الهند أمـة يقظانه ... نبهت كـل مقلـة وسنانه

ثم ختمها بقوله :

جل هذا الصنيع عندي جميلا ... يحمل القلب للمدى عرفانه

دمشق — **عيسى فتوح**

٤٨ قصور — كزبري

دمشق تكرم ابن عساكر

بقلم وداد سكاكيني

* * *

حق دمشق ان تعتز بعلم من اعلامها الفكرية والتاريخية وان تكرم ذكراه(1) المئوية التاسعة لميلاده « ٤٩٩ — ١٣٩٩ هـ » فقد حمل ابن عساكر في قلبه وقلمه حب منبته دمشق ، وتغنى بفضلها واصالتها على ترادف العصور والاجيال ، ومن عجب ان تغلب كنيته ابن عساكر على اسمه ونسبه ، فهو الحافظ ابو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله ، ولم يكن اجداده عساكر او قوادا لهم ليأخذ لقبه منهم او من بطولاتهم ، ولعلهم كانوا ذوي بأس وكفاح على ان الباحثين لم يطيلوا الوقوف عندهم او يتناولوا اصولهم بالتقصي ، بل اجمع من ترجموا لهم على انهم من بيوت دمشق المشهورة بالعلم والتقوى والقضاء ، وقد نشأ ابو القاسم ابن عساكر في منزل دمشقي عريق ، وكانت اسرته لأمه وابيه معروفة بالفقه والحديث فتعلم من والده القرآن الكريم ، ومن اخيه القرآن بالروايات وسمع منذ صباه شيوخ الدين والفقهاء ، وتلقى ابن عساكر قواعد العربية ومشكلات النحو والعروض من جده ابي الفضل ، ونظم الشعر على طريقة امثاله وزمانه ، وقد تعلق بفقه الشافعية وحفظ الحديث متونا واسانيد حتى كان من علمائه واعلامه في عصر الحروب الصليبية ، وقد جمع اربعين حديثا في اربعين بلدا ، وجعلها عن اربعين من الصحابة كما جمع مثلها في الجهاد وفي حوة الصراع بين المسلمين وطغاة الصليبية في ايامه .

على ان ابن عساكر الشيخ الفتى الطموح لم يقنع بما سمع وتلقى في مدينته دمشق من علم الحديث واللغة ، بل تاق الى ما عند شيوخ بغداد في عصره وكانت بغداد مرجعا علميا لأخذ الحديث وادبه وسنده فمضى في شبابه الى معاهدها ومجالس الفقهاء فيها ودخل المدرسة النظامية مستمعا الى دروسها ، قارئا على بعض الفقهاء آخذا عن آخرين ، ومن بغداد انطلق الى ضواحيها واشهر المدن فيها ، متنقلا بين مجالس المفكرين والعلماء حيث كان يجد ما يبتغي من رأي وحديث ، لدى الثقات المشهورين ، ومن العراق مضى ابن عساكر الى مكة والمدينة وغيرهما من ارض العرب والعجم ، وقد غلا الرواة فيما تحدثوا عن مئات العالمات والعلماء الذين استمع اليهم وافاد منهم .

وكان هذا الحافظ لما قرأ ووعى من الكتب وعن المحدثين والمؤرخين ، وما نسخ من المخطوطات والمحققين فيها ، مدار الاعجاب بما أوتي من الذكاء والجلد والطموح في طلب العلم والادب على اصطلاح زمانه ، فقال شيخه الطوسي الخطيب ابو الفضل : « ما نعرف من يستحق لقب الحافظ مثل ابن عساكر » وقال النووي : « هو حافظ الشام بل حافظ الدنيا الامام الثقة الثبت » على ان حفظ ابن عساكر لم يكن ليزيد في نسخ المؤلفات والمخطوطات التي قرأها ، وفي عدد الاحاديث التي تلقاها من ثقاتها ، بل بما وعى من اصولها واسنادها ، وحقق في ملابساتها ومراميها .

ولما عاد ابن عساكر من رحلاته العلمية بعد خمس سنين الى مدينته دمشق لقي فيها البشاشة والحفاوة واقبل عليه العلماء والقضاة والشعراء وطلاب الفقه والحديث ، حتى غدا محدث الشام مرموق السيرة والمكانة ، وكان الملك العادل نور الدين يعرف لهذا المحدث الكبير قدره واثره فبنى له دار الحديث في دمشق قرب العصرونية من اسواقها اليوم ، ليقوم بأمرها ويتعهد طلابها بعنايته وتبصيره ، وحين علم الملك العادل ان ابن عساكر مكب على تأليفه « تاريخ مدينة دمشق » ازداد تكريما له ، وحفزا للمضي فيه ، وقد تعاصر المحدث والملك زهاء عشرين عاما لقي فيها الحافظ من نور الدين تقدير المخلصين للعلم حقا في الحديث والتاريخ ، ولكم سعى اليه هذا الملك الفاضل في « دار الحديث » مشاركا في الحوار والتمحيص داعيا للعلم والعمل بما ينفع الناس ويبصرهم .

ولم يكن السلطان صلاح الدين اقل تكريما لابن عساكر من نور الدين ، فقد قرب محدث الشام اليه وانصت لحديثه ونصيحته ، ولما مات الحافظ ابو القاسم حضر صلاح الدين الصلاة عليه ، ومشى في جنازته عام ٥٧١ هـ . وقد دفن ابن عساكر في مقبرة الباب الصغير في دمشق الى جانب الحجرة التي ضمت معاوية .

كان ابن عساكر موزع الفكر والخاطر بين التدريس والمطالعة والتأليف في شتى الموضوعات التي تمرس بها واحبها وعني بالمراجعة فيها ، فمن الفقه والحديث الى السيرة والتاريخ والرواية ومن علم الكلام الى مسائل الخلاف ، ويضيق هذا المقال عن الالمام بالمؤلفات التي تركها والعلماء الذين اخذ عنهم بشأنها ، وما اكثر الارياف الدمشقية والضواحي التي كان يسعى اليها ابن عساكر للقاء صحبه من العلماء والادباء ، منها : حرستا وجوبر وكفرسوسة وكفربطنا والمزة والربوة وغيرها من الضواحي التي انبتت علماء وابطالا ومحدثين .

واذا كانت مؤلفات ابن عساكر تجاوزت الستين فان احسنها وابقاها على الزمان كتابه « تاريخ مدينة دمشق » وقد جاء في ثمانين مجلدا لم يقتصر فيها ابن عساكر على

(1) — أقيم الاحتفال بهذه الذكرى في ٢٣ نيسان ١٩٧٩

مدينته ومنبته بل كان هذا المؤلف الضخم الذي يعجز عن صنعه جماعة تاريخا للشام وللعالم العربي والاسلامي منذ الفتح والرسالة الى آخر اعوامه ، جمع ابن عساكر في تاريخه هذا اشتات السيرة في فضائل صاحب الرسالة الاسلامية ومناقب الصحابة والخلفاء بعدهم ، ومآثر الذين عرفوا دمشق وآثارها او اقاموا فيهـا ومروا بحياتهـا وذويها ، وينبسط هذا التاريخ في المكان والزمان مسجلا حوادث وروايات وتراجم يستطيع الباحثون ان يستخرجوا منها دراسات ومؤلفات ، وقد كتبها ابن عساكر على نسق « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي ، وتوسع فيما كتب واسهب بين الحديث والتاريخ سالكا في كتابه الكبير منهاج المحدثين ، فهو يبدأ بذكر السند ثم يجيء بالخبر ، ولا يكتفي بسند واحد بل يعدد الاسانيد ويكررها ، وكأن ابن عساكر كان يشعر بأن قراء سرده وترديده قد يضيقون بأسانيده فأدخل الشعر في تضاعيفه لمن ترجم لهم ، ولا غرو اذا كانت مجلدات ابن عساكر فيما روى من الاحاديث والاخبار والفضائل والاشراف في تاريخه الحافل اشبه بموسوعة على اصطلاح عصرنا لم يؤلف مثلها في تراثنا اذ جمع فيها ابن عساكر مؤلفات ضمن مؤلفات لم يترك فيها واردة ولا شاردة في موضوعها وقد روى ابن خلكان عـن شيخه المنذري الذي استهواه «تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر : « ما اظن هذا الرجل الا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل ، وشرع في الجمع من ذلك الحين ، والا فالعمر يقصر عن ان يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعـد الاشتغال » .

وتناقلت اخبار هذا الكتاب الكبير مجالس العلماء في القديم والحديث وتفرقت اجزاء منه ومجلدات في الخزائن الشرقية والغربية ، منها دار الكتب الظاهرية ومكتبة الازهر ودار الكتب المصرية ودار الكتب الاهلية في باريس وغيرها مـن خزائن الجامعات التـي تضم نفائس التراث في مخطوطاتها ومصادرها .

وكان من حـظ هذا التاريخ الضخم في موضوعاته ومجلداته ان انبسطت له شهرة في الشرق والغرب وكانت دمشق ترنو اليه في امل الوصول الى اصح النسخ من مخطوطاته ، وكان الرواد من علمائها تواقين الى نشرها في منبت ابن عساكر فبادر العالم الدمشقي الشيخ عبد القادر بدران في مطالع هذا العصر الى تحقيق خمسة اجزاء من « تاريخ مدينته » اختارها واختصرها بحذف المكرور منها في الاسانيد والاخبار والرواية وصحح بعض التحريف من الناسخين كما وضح ما استعجم من الفاظ اللغة ، وكان له فضل الرائد المقدام الذي قدم لطائفة كبيرة من القراء اجزاء من تاريخ ابن عساكر كانوا يسعون الى مطالعته والنظر فيه ، وقد قيض لتحقيق الشيخ بدران ناشر مهتم بالتراث اعانه على ظهوره عام ١٩١٢ وقد سماه « التاريخ الكبير لابن عساكر » وبعد وفاة بدران نشر الاديب المحقق احمد عبيد الجزاين الباقيين من تحقيق بدران جعل عنوانهما « تهذيب التاريخ لابن عساكر » ، كما صنع المحقق المصري في « الاغاني » اذ سمى تصحيحا فيه « مهذب الاغاني » فلقي صاحبا التسمية الجديدة لكتابين قديمين نقدا ولوما مـن المهتمين بالتراث واصول التحقيق والمحافظة على العنوان الاول .

ومـا كانت مختارات بدران بدعا ولا سبقا ، ففي القديم اذيال وتعقيبات لتاريخ ابن عساكر ، ومختصرات ومنتخبات ذكرها الصفدي في الوافي وجاء ذكرها « في كشف الظنون » وغيرهما ، وبعضها محفوظ في دار الكتب الظاهرية بدمشق ودار الكتب المصرية .

وقد ذكر المرحوم محب الدين الخطيب شيخ الثقات في التحقيق ان اباه قد اختار مجلدات من تاريخ ابن عساكر حقق فيها ولم ينشرها فبقيت خمسة منها في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية وواحدة منها في مكتبة جامعة برنستون ، واخرى في مكتبة « دار الفتح » بالروضة القاهرية يرحم الله مؤسسها الخطيب الذي أنبتته دمشق ووهب لها شبابه وعلمه وسعيه الى تحريرها مع رفاق جهاده .

وما كانت المختارات مـن تاريخ ابن عساكر لتغني الباحثين عن الاصل المطول الذي كان يشغل بال العلامة محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق والداعي الى احياء التراث فقد بقي يفكر في تاريخ مدينته دمشق ، ويدبر الامر لبداية علمية في تحقيق مجلدات منه على النهج الحديث ، فدعا الذين عرفهم في مثل شوقه اليه ومقدرته على التحقيق ليكونوا عونا للمجمع على نشر هذا التاريخ الذي حفظ ثقافة العرب وحضارتهم ودل على امتهم في سيرة علمائها واعلامها في الفكر والادب والفقه والحديث والسياسة فهو لـم يكن مقصورا على دمشق وحدها بل على الوطن العربي الكبير وتراثه الاصيل .

ولم يكن هينا اقدام استاذنا المرحوم كرد علي على اعداد العدة لنشر هذا التاريخ ، فالتكاليف مرهقة والموثوق بخبرتهم قلة ، وكان في طليعة هؤلاء المحقق الثقة والاديب الكبير الدكتور صلاح المنجد فعكف على المجلدة الاولى تمحيصا وتنسيقا وتدقيقا ليخرجها في غاية الاتقان ، وقد شعر باعتزاز وهو يقدمها للمجمع المؤتمر عام ١٩٥١ فلقيت منه الثناء والتقدير ومن القارىء الباحث ثقة به واعجابا .

وجاءت هذه المجلدة في ٨٥٩ صفحة من القطع الكبير وفي صدر الصفحات الاولى كلمـة طيبة لرئيس المجمع المرحوم كرد علي ومقدمة قيمة للمحقق بين فيها نهجـه العلمي القويم في تقديم النص الصحيح .

وفي العام ١٩٥٤ نشر المجمع العلمي العربي الجزء الاول من المجلدة الثانية ، فجاء على احسن ما يكون صحة وتحقيقـا .

وممن استجابوا لدعوة الرئيس كان المحقق الكبير الشيخ محمد احمد دهمان ، وقد قدم المجلدة العاشرة من

وداعا

ليذهب هواك الحلو في طي غيهبي	كما غاب نجم في الظلام المطبق
كما مر حلم في كرى الشوق باسما	كما لاح طيف في الخيال المحلق
اقام بروحي ضيف أنس ونشوة	وودع يأسي بابتسامة مشفــق
سعدت به حينا قليلا ولم يدع	سوى فضلة في كاس راح معتق
تذوقت منه حلو ما كنت أشتهي	وغادر بي مر الذي كنت أتقي
ومــا بــين لقياه وبين فراقه	سوى لمح برق في دياجي التشوق
هو الامل المرجو قد لاح واختفى	فيا حزن ذوبني ويا نار أحرقي
نصبت له عمري شراكا مشوقة	فلما دنا منها بدا حظي الشقي
فاخفاه ، لكن في قرارة أعظمي	سيبقى ويجلى في خيالي المؤنق
سويعات لقيا ما أحيلى ادكارها	خيالك باق في فؤادي ما بقي
وداعا أيــا أحلى أريج نشقته	وأمتع طيــف في حنيني المؤرق
وداعا ولكــن في عروقي مامل	ألــوذ بــه كالغارق المتعلــق

السعودية

علي دمر

تاريخ دمشق عام ١٩٦٣ قائلا في المقدمة : « كان المفروض ان ترى النور منذ بضع سنوات وقد عاقت عن هذا عوائق ما كان لنا الخيرة فيها » .

وطال الصمت بعد تحقيق دهمان كان مجمع اللغة العربية في خلاله يطيل البحث في تكاليف النشر وينتظر مجهود المرجوين لتاريخ ابن عساكر .

ويبدو ان معاذير الواعدين الذين تلكأوا او احجموا عمــا كانوا بسبيله في التحقيق لضخامته وضآلة مكافأته جعلت الامين العام لمجمع اللغة العربية في دمشق يقوم على تجربة في تحقيق مجلدات لابن عساكر يعهد بها الى مقتدرين على تدريس العربية في المدارس الثانوية وكان بعضهم من تلاميذه ليكون هو المشرف على التجربة التي نجحت ، وكان من ثمراتها ظهور الجزء الضخم الذي حمل منذ عامين على غلافه الكبير اسم الدكتور شكري فيصل وحده دون « فريق العمل » الذي سماه من المحققين ، وقد راينا اسماءهم على طرف ورقة داخل الغلاف لا في مقدمة الامــين .

ومر هذا الامر بالعجب والتساؤل دون اجابة ، ولم تتناول الجزء المنشور اقــلام النقاد المختصين بالتحقيق وبقيت المغالطة على الغلاف لعلها تنسى بعد حين ، وقد عجبت لاغفال مقدمة الامين تنويها بجهد الجامعية المثقفة الآنسة ملك هنانو التي سبقت الى التحقيق في تاريخ ابن عساكر وقبل ذوي التجربة عام ١٩٧٧ او « فريق العمل » كما سماهم المشرف على جهودهم فقــد قدمت الفهارس بتنسيقها والتحقيق فيها للمجلدة العاشرة .

وكان من وفاء المعلمة العالمة لابن عساكر الذي الف معجما للنساء اشاد فيــه بالفقيهات والمحدثات العالمات اللائي استمع لهن ان معلمتين في العربية وادبها كانتا في تجربة التحقيق هما سكينة الشهابي(٢) وروحية النحاس وقــد قدمت كــل منهما الدليل على اتقانها في المشاركة الناجحــة .

وبعد فما احسب هذا المجهود الضخم في تحقيق مجلدة بعد مجلدة من تاريخ ابن عساكر يمضي سهلا طويلا ، وما احسب مجمع اللغة العربية في دمشق يتغاضى عن حيف ومغالطة في قيامه بنشر التراث الكبير لابن عساكر .

ومهما تكن مشاغل المحقق الاول في هــذا التراث الدكتور صلاح المنجد فلا ينبغي له التخلي عن هذه التبعة ، وكيف يرضى عالم اللغــة والتحقيق الاستاذ راتب نفاخ بالتجافي عن تاريخ ابن عساكر ، وكلاهما مسؤولان في نقد التحقيق الاخير الذي ظهر ، وان المشاركة الدائبة في دعوة المجمع الموقر والوفاء لمدينتهما اولى واجدى .

(٢) ــ يعرفها قراء « الاديب » في مقالاتها الادبية والتراثية .

دمشق

وداد سكاكيني



نعمه قازان

الشاعر الموهوب نعمه قازان

بقلم وليم صعب

صاحب مجلة البيدر

* * *

سنة ١٩٠٧ ظهر الطفل الشاعر الموهوب نعمه قازان على هذا الكوكب في بلدة (جديتا) البقاعية . ومتى ذكر (البقاع) تجلت امام العيون فتنة الطبيعة في سهل فسيح الارجاء خصب التربة تتفجر منه الينابيع وتترقرق الانهر والجداول وتتثنى اغصان الاشجار الوارفة وتموج لجج الخضرة وتتدفق الخيرات تحت سماء زرقاء مرصعة بالكواكب والنجوم ... انها كتاب الخالق ــ الطبيعة الرائعة التي هي ، بحد ذاتها ، شعر ، والتي منها عب الشاعر قازان مضيفا الى موهبة الله السخية فيه عطاء الله في ما ابدعه للانسان ووضعه في تصرفه .

من جديتا انتقل نعمه قازان تلميذا الى (الكلية الوطنية في الشويفات) التي اسسها الطيب الذكر والاثر القس طانيوس سعد ، وهي اليوم تحمل اسم (مدرسة الشويفات) ويرئسها نجل المؤسس شارل سعد . وسنة ١٩٢٦ تخرج شاعرنا من المدرسة المذكورة حاملا شهادتها العالية (الهايسكول آنذاك) . وسنة ١٩٢٧ انتقل الى مدينة (ريو دي جانيرو) ، عاصمة البرازيل القديمة ، ملتحقا بأخيه ، وكان اخوه قد اسس معملا للاحذية بالاشتراك مع السيد سليم رزق (من بلدة بشامون اصلا) اطلقا عليه اسم (احذية غاندي) . وقد اشتهر هذا المصنع بجودة ما ينتج فيه ، ولكن متطلبات ادارته الواسعة الكثيرة لم تقف حائلا بين الشاعر قازان وموهبته الشعرية الفنية فاستمر يقرض الشعر ملهما منه الروائع في شقيه : المشكل والعامي .

وقولنا بـ (المشكل) قد ينجم عنه اشكال في المقصود ، فقد اطلقنا هذا النعت منذ ما يقارب الاربعين سنة على ما يسمونه (الشعر الفصيح) ، لان تشكيله بالحركات لا يحصر (الفصاحة) فيـه ، فأولى ميزات الفصاحة الافصاح وخلو الكلام من التعقيد ، وغالبا ينطبق هذا على الشعر العامي . وقد أعلنا مرارا ان العامية ظل للفصحى وهي تعيش في كنفها ولا يمكـن ان تطغى عليها . وفي الجمعيات التـي اسسناها في الوطن والمغتربات ، وفي المؤتمرات التي عقدناها ، وفي كتاباتنا في الصحف نادينا بأننا انما نسعى الى جذب العامية نحو المشكلة لتتلاقيا في حدود مسافة من الطريق يكون الوقوف عندها مقبولا ، فلا تبقى هنالك هوة بين اللغة الام وربيبتها ــ ظلها العامية الا في التشكيل بالحركات اذ لا فارق في المعنى المقصود بين قولنا : « ذهب سعيد الى المدرسة » ببناء فعل (ذهب) الماضي على الفتح ، ووضع علامة تنوين الرفع على (دال) سعيد ، وجر كلمة (المدرسة) بالكسرة ، ولفظنا الجملة ذاتها بتسكين آخر حروف الكلمات المذكورة كلها .

ان شعر نعمـه قازان فصيح بمشكله وعاميه ، وموهبة الله الغزيرة الفياضة المتدفقة فيه كونت منه شاعرا محلقا فذا في شقي الشعر كليهما ، وجعلت لشعره نكهة وعبيرا مميزين . وهو ذو نفس طويل قلما يجاريه مجار في مضماره .

في (ريو دي جانيرو) تزوج نعمه قازان ابنة شريكه سليم رزق ، ورزق ابنة وحيدة تحمل اسم (حياة) . ومنذ سنوات كثيرة اوقف الشاعر وعمه مصنعهما ، وانصرف نعمه قازان الى التعمق في تأملاته والى نظم الشعر . وسبب اطلاق نعت (العائلة المقدسة) على عائلته انه حيي حياة روحية مرافقا الله ، متخذا من ربه قدوة ، متوجا قصائده وممهدا لها بأقواله وآياته .

وبعد غربة امتدت اثنتين وخمسين سنة متصلة في البرازيل انتقل الشاعر من الارض في الثاني والعشرين من ايلول ١٩٧٩ .

في كل ما اوردنا آنفا عن شاعرنا ذكرنا انه (انتقل) ولم نذكر انه مات ، فهو لم يكن يؤمن بالموت الا انه الانتقال الى الحياة . وفي قصيدته (انا الدنيا) ، التي ترجمت الى معظم اللغات الحية ، نرى عقيدته هذه بارزة واضحة .

سنة ١٩٣٧ نشرت له في البرازيل قصيدة مطولة

تحمل اسم (معلقة الارز) ، وسنة ١٩٦٤ صدر له في بيروت ديوان باسم (المحراث) احتوى بعض قصائده من ١٩٣٨ الى ١٩٦٠ ، وجاءت كلمة الاهداء فيه : « الى اخي الانسان في كل زمان ومكان » . اما شعره بعد ١٩٦٠ فلم يصدر مجموعا ، وعلمنا من شقيقته السيدة (اديبة) ، التي عادت من البرازيل منذ مدة قريبة ، انه معد للطبع باسم (الكوثر) . وكان قد صمم ، منذ خمس سنوات على المجيء الى لبنان ليشرف على طبع شعره ، وقد وضع مكتب (البيدر) بتصرفه ، ولكن الاحداث ، التي ما تزال مستمرة ، حالت دون تصميمه .

حتى العشرين من عمره كان ينشر شعره المشكل باسم (بدوي البقاع) ، اما شعره العامي فكان ينشر باسم (فرخ النسر) . ولكننا أمطنا اللثام عن (فرخ النسر) في (البيدر) واعلنا انه نعمه قازان نظرا لما رأينا من الاجادة والبراعة والشاعرية والعبقرية في شعره العامي . وحتى ذلك الحين كان الذين يعرفون ان (فرخ النسر) هو نعمه قازان يعدون على اصابع اليد الواحدة .

بين ١٩٢٦ و ١٩٢٩

تحت عنوان (يومان) كتب قازان ما يلي :

« لا معلم للانسان الا نفسه . من يتتلمذ على غير هذا المعلم قد يتسنى له ان يعرف كل شيء ما عدا الحقيقة .

القاتل مسؤول عن جريمته ، اما المحرض على القتل فمسؤول عن جرائم العالم كلها .

القاتل مهاجما والقاتل مدافعا واحد لان العامل في كلا الحالين واحد .

ما دمنا لا نقتل خوفا من السجن او من الله ، واي شيء آخر ، فنحن قتلة . ولن نتحرر من القتل حتى نعرف عن طريق معرفة الذات ان القاتل لا يقتل الا نفسه ، وانه لن يبارح سجنه ، ولو خارج السجن ، حتى يدفع الفلس الاخير .

سيظل للقتل مبرر في عقول الناس ما داموا يرون الموت أمرا طبيعيا لا بد منه » .

وعنوان (يومان) هو لقصيدتين : الاولى نظمها سنة ١٩٢٦ على اثر حادثة جرت في سوق الغرب ايام كان تلميذا ، وسببها خلاف وقع بين تلاميذ مدرستين في لعبة كرة القدم وسماها (يوم وحش) ، والثانية نظمها سنة ١٩٢٩ في البرازيل على اثر حادثة مماثلة ، وسماها (يوم انسان) . وفي تأمل ابيات القصيدتين يبرز التحول الذي طرأ على تفكير شاعرنا منذ العام ١٩٢٩ — ولا بد هنا من الاشارة الى ان نعمه قازان كان شجاعا قوي العضلات وقد اشتهر بذلك في مطلع شبابه .

يوم وحش

لله يوم بـ (سوق الغرب) لا طلعت ... شمس على مثله : كم كان منحوسا
يوم تجافى به الطلاب فاحتكموا ... وعندما جاء لون الحكم معكوسا
دارت رحى الضرب حتى لم يعد بدني ... يحس بالضرب مهما كان محسوسا
وكنت أحمل موسى حدها لهب ... طاشت بكفي فكادت تحلق الروسا
وبعد ان فر اصحابي ولا سند ... بقيت وحدي انا والعار والموسى
وضايقوني ومذ ضاقت بهم حيلي ... نفرت كالوحش لما ذيله ديسا
ورحت اضرب كالمجنون ــواخجلي ... روسا كأني بها اطرا من الكوسى

يوم انسان

وأحمق لم تنل مني حماقته ... وليس لي ناقة معه ولا جمل
قسا عليه أخي يوما بصفعته ... فمال صوبي يريني انه رجل
ودس في جيبه كفا فقلت له : ... ما خيب الكف لا تأتي به الحيل
ولم تكن غير ومضات ويجبهني ... مسدس طائش مقداحه الوجل
ما كاد يهوي به فوقي ليقتلني ... حتى هويت كأني فوقه جبل
واذ رآه بكفي صاح : وا أجلي ! ... فقلت : لا، لا تخف، لم يحضر الاجل
وصحت في وجهه لما تماوت : قم ... اني بعثتك حيا أيها (البطل)

وكلمة (البطل) الواردة هنا تذكرنا بما كتبه على رسمه الذي أهداه الينا في منزله في البرازيل سنة ١٩٤٩ : « الى الشاعر القائل : « بيجوز تاكل كف ونعدك بطل » ، وهذا آخر شطر في قصيدة القيناها آنذاك وكان هو حاضرا تلك الامسية الشعرية في النادي اللبناني في (ريو دي جانيرو) ، وفي أخذه هذا الشطر لكلمة تقديم الرسم ما يكشف التحول الذي طرأ على تفكيره منذ العام ١٩٢٩ فمال به الى اللين وأبعده عن العنف وانتزع من قلبه جذور البغضاء لتحل فيه المحبة — المحبة التي جعلها مذهبا له اذ ادرك ان الله محبة . وقد تغنى بالمحبة في شعره باسهاب وتفصيل حتى كادت لا تخلو من ذكرها واحدة من قصائده :

«ألا كل دين ، ما خلا الحب ، بدعة ... وكل اجتهاد ، ما عداه ، ظنون »

من آراء الادباء في شعره

مما كتبه جورج صيدح سنة ١٩٥٧ في مؤلفه (ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية) :

« لا سبيل الى انكار شاعريته مهما تضاربت الآراء في صحة اتجاهاته وجودة فنه ... ان شعر قازان ينم عن شاعرية فياضة مطبوعة وعن تفكير عميق مستنير يطوع القوافي بمقدرة عجيبة ، ولكنه يتخطى الشعر الى الفلسفة الجافة حينا ، ولا يوضح الفكرة في شكل ناصع احيانا . فان عابوا عليه الانحدار الى مستوى الكلام العادي والاستهتار بقواعد اللغة والعروض أجاب :

اذا قام شعر بالفاظه ... تكون القواميس خير الكتب

وكم رق شعره وراق متى خرج من الفلسفة الميتافيزيقية الى جو الناس :

قالت وقلت كأننا في بابل ... حتى رنت ففهمت بالالحاظ
وتمردت روحي على جسدي كما ... يتمرد المعنى على الالفاظ

ومما كتبه سنة ١٩٥٧ الاديب المحامي انطون قازان :
« لم تنفصل حياته عن شعره ، ولا تميزت حقيقته عن انتاجه ، فهو وحدة انسانية شاعرة .
ان الباحث في ادب هذا الشاعر لا يعاني مشكلة الاخلاص ، ولا يسائل نفسه عن مدى التمثيل في ادبه ، فقد تمرس بالفضيلة كانسان ، وغناها كشاعر ، فأحسن فعلا وصدق قولا ، وكان شاعرا مخلصا منسجما .
لم يناد بالفضيلة على تجهم ، وبالكرامة على احتفال ، فاستحق نفور المرحين او هزءهم ، بل انشد الفضيلة المطمئنة والكرامة الفرحة ، فاذا هو شاعر التفاؤل والقوة .
اطل على الشعر بروح وثابة وعين كأنها نظرت طويلا الى الاشياء فملت معتادها ... وما لبث ان انتفض انتفاضته الكبرى وقد ادرك ان الاخلاص للحق وللادب معقود على جبين ثائر وفي قبضة عاصفة ... فثار .
يريد البساطة في الاسلوب والصراحة في الكلمة . لم يغره دوران على اللفظة ولولبة في الاداء مع ما فيهما من اغراء ومتعة ، بل نفذ توا الى حقيقة ما يريد بوضوح المؤمن ورجولية الثائر ، فهــو يتناول اعمــق المواضيع ويعالجها بلغة الناس . ليس للفظة عنده تلك الخطورة التي للفكرة والمعنى .
ليست (معلقة الارز) كل انتاج نعمه قازان ، وربما كانت مرحلة واحدة من مراحل شعره ، لكنها مرحلة كان لها تأثيرها العميق في الادب العربي عامة والادب المهجري بصورة خاصة ، ولقد احدثت ضجة كبيرة بين الادباء ، وتناولها عــدد لا يستهان به من النقاد ، فكثرت حولها الاقوال وتعددت الآراء . ولقد اعجب بها كثير من ادباء العرب وادباء الغرب فعني بعضهم بترجمتها الى لغاتهم لما حوت من فكر جديدة وانطلاقات موفقة في سبيل ادب انساني شامل .
اما بعد (المعلقة) فقد تحول نعمه الى شاعر روحاني صرف واتجه الى الكتب المقدسة وهي خير معين نهل منه كبار العباقرة في الغرب والشرق . وهو يواصل رسالته الداعية الى المحبة والرحمة — كل ذلك بشعر صاف يدنو كثيرا من الشعر الصوفي على مفاهيم جديدة ومضمون اخاذ ، ساعيا الى ادب عالمي روحاني ، ذاهبا عمقا بقدر ما هو ماض اتساعا ، خالعا على شعره هذا اثوابا انيقة جميلة هي غير اسلوبه في (المعلقة) .
وعلى الجملة : ان نعمه قازان شاعر بكل ما في هذه الكلمة من معنى وسمو ، جمع الفضيلة الى العبقرية ، والصدق الى الخيال . وسعت عوالم النفس عنده ، وثقب نظره في تطلعه الى الاعماق ، فغدا على شمول في المضمون يغبط عليه . حسبه انه اوجد جديدا في الادب واحدث هزة في كيانه ، فكان من القلائل الذين وسموا تاريخ الشعر العربي سمة لا يمحوها الزمن ... انه باق » .
ومما كتبه (البدوي الملثم) في مؤلفه (الناطقون بالضاد في اميركا الجنوبية) ، بين ١٩٥١ و ١٩٥٣ :
« هو لا يؤلف او ينظم طمعا بالكسب والزلفى ، انما النظم عنده هواية خاصة . انه شاعر بالسليقة ، شاعر بأخيلته وابتكاراته . وفي اسلوبه الشعري جزالة ورشاقة واصابة الهدف — كما يقول توفيق ضعون في مقدمة (معلقة الارز) — ونحن ، اذا استرسلنا في قراءة (المعلقة) وانعمنا النظر فيها ، تبينا مكان العاطفة الصادقة في شعر قازان ، ولمحنا في ابياتها دقة التصوير والشعور الفياض . و (معلقة الارز) بقياس الزمن قديمة بعض الشيء ، ولكنها جديدة كأنما هي بنت الساعة من حيث قيمتها الادبية والفنية وقد اهداها الشاعر قازان « الى حفنة تراب في جوار الارز » — اي الى روح أمه .
كانت (معلقة الارز) نقطة فاصلة بين عهدين من حياة شاعرنا ، فالعهد الاول تناول شعر الشباب الحائر المتسائل ، والعهد الثاني اشتمل على شعر جديد هــو الشاعر نفسه ، وفي هذا الشعر نحا قازان منحى جديدا يختلف كل الاختلاف عن الشعر العربي المعروف منذ قديمه الى عصرنا الحاضر ، وبهذا المعنى يقول الكاتب المصري المعروف عزيز فهمي :
« ومعلقة الارز للشاعر قازان من هذا النوع الذي يلهمه الله ولا تتصيده العقول . هي شعر لا يوصف ولا يتحلل ، فاذا هيأ الله روحك لاستساغته وجدت نفسك تنشد ما يماثله ، فان لم تفعل فهي الالفاظ تتدلل عليك » .
يقول بعض هواة الادب والعاملين في حقله ان قازان نحا في الشعر العربي المعاصر نحوا جديدا ، واخذ ينشر روائع روحية لا عهد للناس بها . وتتلخص النفثات ، التي شرع قازان في نشرها على الناس موطنا ومهجرا ، في رسالة جديدة يدعو فيها (الانسان الجديد) للتجدد في جديده كيلا يصير الجديد عتيقا . ويؤمن بأن لا خلاص للانسان من العبودية الا بخلع (الانسان العتيق) ولبس (الانسان الجديد) .
وفي رأي قازان ان الشعر هو ظل الشاعر ... وهو يؤمن بأن البذرة الاولى للانسان هــي بذرة الهية صالحة ، لكن جهل الانسان هو الذي افسد تلك البذرة الالهية بتكالبه على الحياة وجوعه الى مــا يفيض عن حاجته . وما الانسان ، في عرفه ، الا مزيج من كينونة وصيرورة . والانسان حي بكينونته وميت بصيرورته ، اي بجوعه الى ابعد من حاضره — الى الزمن — ، لذلك فهو يخاطب يسوع بقوله :

يــا كائنا عاش في كينونة أبــدا	صيرورة المرء (شطر) بعد توحيد
أخوك مذ (صار) صار القبر قبلته	يهــوي اليــه كمشدود بجلمود
يشتاق بعثا ودون البعث معركة	هيهــات يقحمها غــير الصناديد

للسيد المسيح اثر ملحوظ في حياة الشاعر اذ يعتبر (المعلم الصالح) المثل الاعلى للانسان .
وقازان شاعر يؤمن ايمانا عميقا باله واحد قدير

خلق السماوات والارض ، فتراه يحدق في الشمس والقمر والنجم والزهرة والساقية فيرى (يدا) في كل منها لاله غمر الفلك الدوار نورا وفيض اشعاع :

حدقت بالله يوما — حتى حرقت الجفون
وسوف أنعم فيه — ولو حرقت العيون
أحسه في حسا — تضيق عنه الظنون
لو رحت اجلوه نطقا — فالنطق عي حرون
أو رحت اجلوه لفظا — فكل لفظ سكون
أو رحت اجلوه رمزا — فالرمز فن خؤون
أعربت بالصمت عنه — والصمت أعلى الفنون
آمنت بالله حتى — قيل : اعتراه (جنون)
أحبه ، وقليل — بمن أحب الجنون
الله ، لو يعلمون ...
الله ، لو يؤمنون ...
فلتنزلن العوادي — ولتبطشن المنون
حر فلست أبالي — بكل ما قد يكون
ان كان هذا جنونا — رباه زدني (جنون)

ومما كتبه ميخائيل نعيمه سنة ١٩٦٥ على أثر صدور (المحراث) :

« ... المحراث ونعم الاسم ... اجل نعم المحراث ونعم الحارث ، ونعم الزرع والزارع . فأخونا نعمه هو احد القلائل في دنيا العرب الذين ادركوا ان النفس هي الحقل الاهم والاحرى باهتمام الانسان من جميع الحقول الاخرى التي ينفق عمره في حرثها فلا يستغل منها سوى الوجع والمرارة والخيبة والموت .

ويبدو من (المحراث) ان صاحبه يعرف التربة التي يحرث ، ويعرف كيف يختار لها البذار ، وذلك لم يتأت له الا بعد جهاد طويل من مغالبة النفس بغية الوصول الى صحيحها من خلال رغوتها . ولانه أعطي موهبة شعرية فذة فقد آثر ان يفرغ خبرته في قوالب الكلام الموزون ، وان يتقيد بالروي الواحد في القصيدة الواحدة . وانه لمن العجب — والمواضيع دقيقة ومعقدة وشائكة الى حد بعيد — ان لا تضيق بها الاوزان والقوافي ، وذلك شاهد للشاعر بطول النفس وحسن الصنعة مع الامانة التامة لفكره وعقيدته » .

ومما كتبه اديب وليم صعب سنة ١٩٦٥ على أثر صدور (المحراث) :

« ما هي خطوط (المحراث) ومناهجه ؟

للاجابة عن هذا الاستفهام سنتتبع مراحل الكتاب الزمنية ، فقد جعلها الشاعر في بابين ، يضم الاول ما نظمه بين ١٩٣٨ و ١٩٤٨ ، والثاني ما نظم بين ١٩٤٩ و ١٩٦٠ . والذي يقرأ قصائد المجموعة يتبين له الخط الجامع بينها وهو الاتجاه الى الداخل والتوغل في اعماق الذات . ولئن ضم الباب الاول بعض الموصوفات الخارجية فان في الباب الثاني انصرافا الى النفس ومحاولة فهم العالم من خلال التجربة المسيحية ، وهو يصدر معظم قصائد هذا الباب بأقوال من الانجيل .

يقال في نعمه قازان انه صاحب رسالة وهي رسالة غامضة مقتصرة على لغة الايماءة والايحاء . اجل ، فالشاعر ملتزم في خط حياتي فرضه هو على نفسه وراح يخرجه بواسطة الشعر . اراد ان يحقق ذاته بالشعر فتوصل الى اغراق عميق في الصوفية .

وقد بلغ به التأمل في الحياة والوجود ان جعل نفسه واحدا والقصيدة :

«أنا القصيدة،ما شعري وما ادبي ؟ اني لأبرأ من شعري ومن أدبي »

اما رسالة قازان ، التي يجد بعض المطلعين على شعره انها رسالة غامضة ، فأراها واضحة وضوح الشمس ، فهو يدعو الى القيم : الصدق والمحبة والولادة الجديدة والحرية والحق والخير والتسامي الى الله ، مستمدا تجربته من تعاليم المسيح .

وفي قصائد القسم الثاني تحول كلي الى الداخل ، الى اعماق الذات ... انه امتداد للبذور المغروسة في قصائد المرحلة الاولى .

ينطلق الشاعر من ذاتيته المسيحية الى وطنه ثم الى الانسانية الشاملة المتعالية عن حدود الزمان والمكان ، المتمثلة في كل اين وآن ، فالشعر عنده ليس خواء ، انما شعره هو . من هنا ينفرد نعمه قازان بصوته عن اصوات اترابه المهجريين ، ولا سيما اولئك الذين التزموا الخط الوطني فجاءت معظم قصائدهم انعكاسات خارجية متقلبة بتقلب الظروف والاحوال ، ولا مبرر لكونها شعرا سوى الاوزان والقوافي ... قازان ليس من فئة « الشعراء الاحرار » ، وهذا سبب له الكثير من الاجحاف لدى الدارسين والمؤرخين للشعر المهجري الذين ينسخ عنهم الاكاديميون ، طالبو الرتب الجامعية والالقاب ، دون الرجوع الى المصادر الاصلية المسؤولة . ولو اردنا ان نقيم الناحية الوطنية في الشعر المهجري لما وجدنا ما ندرجه تحت باب الشعر سوى الحنين الى الوطن . لا نعني بهذا ان قازان خال من الشعر القومي : يكفي ان يصف قريته ويعبر عن مشاعره نحو تلك التي ماتت وهي تنتظر عودة ابنها — ذلك ، وحده ، يكفي محبة للوطن وبرا به . والذي يقرأ (معلقة الارز) للشاعر يحس بالجذور القومية المتغلغلة في اعماق الشاعر الذي يختمر تراب موطنه في نفسه مهما طال تغربه عنه ، وهذا ما نستشفه ايضا لدى قراءتنا قصيدته العامية الطويلة (ابن الضيعه) .

تضم (معلقة الارز) آراء الشاعر في الحياة والكون والفن ، فهو يفتتحها معارضا دعاة الجمود في كل زمان ومكان ، الذين « وقفوا بالباب ولم يدخلوا » . ويردد هذا البيت عدة مرات خلال القصيدة :

وقفتم ببابي ولم تدخلوا — فماذا تريدون يا اخوتي ؟

ثم يدعو الشاعر الى التجديد والى الثورة على القيود المفروضة على الشعر من الخارج والغريبة عن طبيعته . وهنا يذكر وطنه ، ويشد به الحنين الى الارز والى حفنة

التراب التي هي امه ، ويذكر غربته المرة عن وطنه وعن نفسه ، فهو يرى نفسه في الغربة كأنه غيره ، ويدرك ان « النفس تحيا باحساسها » .

ونتكلم ، الآن ، عن (ابن الضيعه) ، فهي قصيدة طويلة نظمها الشاعر باللغة العامية ، وتدور حول الهجرة من القرية الى المغتربات الاميركية . يروي نعمه في مطولته (ابن الضيعه) حكايته وحكاية كل مغترب بصدق وعفوية بحيث تتسلسل الكلمات ومعانيها دون جهد . ويصور في قصيدته مآسي الغربة ، مظهرا الحقيقة الناصعة لدوافع الغربة ، وهي حكاية الشاعر الواقعية كما هي . احب فتاة من قريته ، ولكن دوافع الهجرة كانت ملحة عليه ، فركب البحر رغم توسلات امه ، وخلفه دمعتان : دمعة امه ودمعة حبيبته . وحل في القارة الغربية وكلمات امه سوط يسلخه وصوت يهدر في حواسه فيحترق ندما على هجره الضيعة ، ويترحم على امه ، ويعبر عن شوقه وحنينه بأرق ما يكون التعبير ، متذكرا الحياة في القرية . اما السهولة وعدم التكلف فظاهران في القصيدة من اولها الى آخرها . وهذه القصيدة من روائع شعرنا الحديث ، ولا يمكن للشاعر او لغيره ان يكتب ما يعادلها باللغة الفصحى من حيث مخاطبة القلب المباشرة . وارى ان هذه القصيدة أروع ما كتبه نعمه قازان ، وانها تجيء في ذروة الشعر المهجري ، وهي اصدق تعبير عن حالة المغترب وخلجاته النفسية ، فهي ، بحق ، ملحمة الهجرة ، وننتظر من الشاعر ان ينشرها في كتاب على حدة .

نعمه قازان شاعر بكل ما في الكلمة من ابعاد ، فله رؤياه الشعرية التي تشمل كل ما في الوجود وما وراءه . فهو ينظر الى الكون نظرة كلية ، ويكتنه احداثه وجواهره بلمحة خاطفة ... يرى كل شيء وفي السر يحيا ... وهو شاعر النفس وشاعر التجربة المسيحية ، وتعرف عائلته في (ريو دي جانيرو) بالعائلة المقدسة ، فشعره صورة عن تجربته ، ولم يكن مبالغا حين صرح بأنه القصيدة » .

وحول كلمة اديب صعب كتب نعمه قازان الى ميخائيل نعيمه :

« واديب صعب — كما علمت — لا يزال في فجر العقد الثالث ، فهو اكبر من عمره واسبق من يومه . لم يعتمد بعد بمعمودية النار فلم تكوه الحياة بمكواتها ولم تقلبه على مقلاتها . فهو وامثاله — ساعدهم الله على محيطهم — بركة على الادب ، وثمرة بكيرة تشهد شهادة صارخة على ان الحقل مبارك وذو تربة خصبة ، وان الفعلة بدأوا يفدون على الحقل ، وان الموسم يبشر باقبال عظيم » .

كما كتب الشاعر الى نسيبه المهندس اديب قازان الذي اشرف على طبع (المحراث) ، بعد اطلاعه على كلمة اديب صعب وعلى احدى قصائده :

« أهنىء سلفا البقعة العربية عامة بهذه السحابة الجديدة ، ولبنان خاصة بهذا الشاعر الحامل الذي لا يعلم حتى هو ماذا يكمن وراء لسانه » .

ونحن انما نثبت هنا ما كتبه الشاعر قازان عن اديب صعب لاننا شعرنا بأن صاحب (المحراث) رأى في كلمة اديب صعب فيه ما كشف حقيقته وجلا الغموض الذي اتهمه به بعض الناقدين ، وقد جاءت الكلمة جامعة شاملة وكان كاتبها لا يزال طالبا جامعيا في العشرين من سنه ، كما اورد فيها شيئا هاما جدا عن نعمه قازان لم يأت على ذكره النقاد والباحثون في الشعر المهجري ، وهو شعر قازان العامي الذي بلغ الذروة والذي سيحدث دويا عاصفا عندما ينشر مجموعا . هذا الشعر العامي الذي تأتي الكتابة عن نعمه قازان ناقصة اذا لم يكشف عنه الستار .

بعد ان أثبتنا ، في ما تقدم ، هذا العرض عن شاعرنا الكبير الموهوب ، لا بد من الاشارة الى ان قصيدته ، سواء أكانت مشكلة او عامية ، تشكل وحدة تامة مترابطة ، وان موهبته الشعرية غزيرة فوارة متدفقة . اما تمرده على ما وضع قديما من اصطلاحات للشعر حول ما يتعلق باللفظ فلم يتجاوز ، احيانا قليلة ، عدم اشباعه (ميم) جمع الذكور ، والضمير (الهاء) اذا كان الحرف الذي قبله محركا ، واستعمال الاندر من النادر من الكلمات العامية اللطيفة التي لا تنطبق عليها صفات العامية الكاملة ، وتكرار كلمة (القافية) بطريقة مقبولة ومحببة ، ولكنه لا يتساهل مع نفسه بالقواعد الاعرابية النحوية فهو فيها ضليع خبير طويل الباع .

لقد اوردنا بعض آراء الادباء فيه ، اما الراي الاصح والاكمل والمفضل فرأيه هو ذاته في نفسه ، ولا يمكننا ان نستخرج هذا الراي الا باثبات بعض نماذج من شعره المشكل وشعره العامي ، فشعره افصح واصدق متكلم عنه ، مع الاشارة الى ان شعر نعمه قازان كله نماذج رفيعة رائعة يحتار الباحث في ما يثبت منها وما يترك ، وجل ما نتمناه ان يكون هنالك اهتمام جاد لنشر نتاجه الشعري كله في المشكلة والعامية ، فهو ذخيرة ثمينة نفيسة يفاخر بها الشعر كما يفاخر وطن نعمه قازان .

من شعره المشكل

من اولى منظوماته :

يا نفس ، طوبى لمن قد ضاع أجرهم	**فالشعر للشعر عبي من مناهله**
لا يسال الزهر عمن راح ينشقه	**ان كنت زهرا ففوحي في خمائله**
فالغصن ان نضجت اثماره ذبلت	**وخير ما يشتهيه قطف ذابله**
يبقى الغني فقيرا في عواطفه	**حتى ينال الغنى من عين سائله**
لكل معط نصيب من عطيته	**من يزرع الفقر يحصد من سنابله**

من (صوت البشير)

في ذمة الله من في فقرهم سعدوا	**عاشوا وما ذكروا، ماتوا وما قبروا**
جاعوا وما كفروا،طاعوا وماصغروا،	**أعطوا وما شكروا،اغنوا وما افتقروا**
البغض كالحب موكول بنيتهم	**والشر كالخير موكول به القدر**
هذي جهودهم الخرساء ناطقة	**هم الألى عمروا الدنيا وما عمروا**
اقول — والموت خلف الباب ينتظر :	**ما كل نفس وراء القبر مائتة**

النور نار ، ولكن ليس يستعر

من (لبنان)

يا رسول السلام بين الانام   نحن للحب والهوى والوئام
نحن قيثارة الحياة ، عيها   ينقر الحب اعذب الانغام
نحن جند السلام في كل ناد   وصداه في افقنا المترامي
قسمتنا الحياة بين بنيها   رب جمع يتم بالانقسام
ففدونا خميرة في عجين الا   أرض نغزو مجاهل الاقوام
وحملنا رسالة الله حتى   لا سبيل لنا الى الاحجام
قد وجدنا الانسان أخرس فكرا   فنفخنا في الحرف روح الكلام
ووجدناه مقعدا عند شط   فخلقنا له جناحي حمام
مذ خطونا في الازدحام فرادى   وسعتنا الدنيا على الازدحام
ما التفتنا الى الوراء لأنا   حيث كنا فاتت ملء المقام
قد حملناك في القلوب حنينا   واحتضناك دمعة في العظام
كذب القائلون انا حسام :   نحن نخر الايام للايام
والذي يمنح الوجود بنيه   لا يقيه الا امتشاق السلام

من شعره العامي

ودع صديقه الشاعر خطار رشوان الذي جاء في زيارة الى لبنان بهذه القصيدة :

من الحرقه وكتر اللوعه   الدمعه بتطفي الدمعه
وما دام رايح تاترجع   رح ضوي لالله شمعه
تا ترجع بالسلامه   وعا قبال روحه بلا رجعه
يا نسر الا راجع عالوكر   وكلو شوق وحب وذكر
خوذ بقلبك (فرخ النسر)   ان كان باقي بقلبك وسعه
شوق الغايب للبنان   شوق البزره لنيسان
وشوق المعنى للفنان   وشوق القطره للنبعه
ان شفتلك شي ختياره   كانت لأمي جاره
جبلي زر من زرارا   ومن ثوبا شقفة رقعه
وان شفت الحلوه السمرا   ولو كانت باخر عمرا
جبلي من عينا نظره   ومن عين الضيعه جرعه

وعاد خطار رشوان من لبنان الى البرازيل فاستقبله بقصيدة مما جاء فيها :

جايي فرفك ديي بديك   ومرمغ رجليي برجليك
بحيثك جايي من لبنان   وبعدو غبار الجنه عليك
يا مسلم على (خطار)   بعد رجوعو من المشوار
لا تنفض عنك الغبار :   غبار الجنه غالي كتير
عيش واوعا تغسل ديك   ما دام بعدو غبارو عليك

من ملحمة (ابن الضيعة)

من يوم تركت الضيعه وشلحت النير
مشتاق ارجع عالضيعه مشتاق كتير
طلعت وطلعت ورايي بنات الحي
وطلعت الضيعه تمشي بجنازة حي
(أستير)بكت بالمخفي ـشفتا مرتين ـ
وما عاد معي من الدمع غير دمعتين:
محارم بيضا بتلولح وبتشلي دموع
و(سهل) عميهرب مني ويرجع رجوع
ولما نظرت لخلفي آخر نظره
وانعصر قلبي عصره جمدت حسره
تركت الضيعه آتلفت على الجنبين
وبعدين تلفت قلبي ، وروحي بعدين

تركت الجنه وشلحت طوقي الحرير
ومشتاق أكثر لو بقدر ارجع زغير
وصار البكي يزداد شوي ورا شوي
وبكي القلب اللي كان محجر تحجير
عيني كانت عليها وكل حفنه بعين
دمعة امي ، والثاني دمعة (أستير)
وتران طالع عميصرخ ، قلبو مشلوع
ودمعه محقونه وفكر من دون تفكير
وما شفت أمي طفرت عيني جمره
البحر وكبرو ما طفى فيها السعير
على امي عا عيني ، عا نور العين
واليوم عمال يتلفت فيي الضمير

من يوم ركبت البحر وسقت الامواج
« يا ابني ما بيتغرب غير المحتاج
يا ابني جدودك هونيعاشوا وماتوا
ونشكر الله يا ابني عا خيراتو :
يا ابني ، هالأماركا عمرا ما تكون :
شفت(فارس) كيفسافر مثل الطربون
مره زرتو قبل ما توفى بيومين
وزلقت كلمه من تمو بتطلع رطلين
يا ابني،الغربه صارت أكبر ضربه :
محبة لبنان بالغربه اكبر كذبه
يا ابني حاج تطلع خلف البحار
سافر جواتك يا ابني ان كنك بحار
ألله يرحمها ويرحم كل الاموات
الظاهر ألله بيناجي قلوب الامات
مشتاق ارجع عالضيعه وانمت بعيد
تا اجمع كلمات امي وكلمه ما بزيد
مشتاق ارجع عالضيعه تا ضم وشم
شدة أمي العتيقه ، لو كان لي أم ،
مشتاق ارجع عالضيعهوأكسر سمي
واركع مطرح ما صرخت دمعة أمي :
يللي قاعد بالضيعه وعمبتغني
قلبي صدى وما عاد في الو رنه
ويللي نايم بالضيعه عالحصيره
ولقمة أماركا لقمه بلا خميره
ويا مكاري الا ماشي حافي خلفالحمار
ان كنو منالحفا برجلك طالع مسمار
ويللي عايش بالضيعه فقير الحال
الغنىما انو محصوربحصر الاموال:
ويللي قاعد عالنار وعمتشوي فكار
ابن الضيعه لو جاع بياكل حجار
من يوم تركت الضيعه وشلحت النير
مشتاق ارجع عالضيعه مشتاق كتير
أغنى غني بالغربه مفلس تفليس
ولما وعينا عالغلطه وعينا لقيس

وكلمات أمي تسلخني مثل الكرباج :
ولو عاش ببلاد الغربه عيشة امير
وما احتاجوا من عند الله غير غيماتو
البيت متبن من قمح وذرا وشعير
فيها ـ يا تقبر امك ـ مرض ملعون
ورجع ـيا حسرة أموـ مصبر تصبير
وصار يحكي عنأماركا وغراب البين
عن الغنى وخبارو ... وعن التعتير
لبنان عميدفن حالو بأرض الغربة
مثل محبتنا لالله صلا وتبخير
الا راحوا بالبحر غرقوا: البحر غدار
كنوز الدنيا مخبايه بقلب زغير »
ما كان أبعد مرماها بهاك الكلمات
والا ما بيسمع من امو ما الو مجير
مشتاق لو بقدر اخلق فيها من جديد
وأعمل منها انجيل وبشر تبشير
مطرح ما دابت أمي وأكلها الهم
بتسوى قناطير مصاري وفوقا قناطير
وطهر بهوا الضيعه روحي ودمي
«دخلكيا ابني لا تقصرعمري القصير»
حسنه عنك غنيلك رده عني
ولا عاد الطير يغني ولا عاد يطير
خليك نايم : ما بتحرز ، لقمه زغيره
مغموسه بهم وسم ودم وتعتير
وعمتهدس بأماركا وتلعب بالنار
راسي ـأجلك اللهـ محشي مسامير
لا تضيع غنى نفسك ، خليك رجال
البغل، ولو أكل قمح، بيعملها شعير
نيالك : قادر تنفخ وتطفي النار
يا ذل الا ما فيه ياكل والاكل كتير
صرت من برا كبير ومن جوا زغير
وارجع من برا زغير ومن جوا كبير
الغربهغلطه غلطناها منوحي ابليس
يا ريت وعينا حتى نوعي بكير

رأيه في الشعر والشعراء

هالغربه بدا شاعر صادق فنان
شيل (العروبه) و(حوا)و(ارزة لبنان)
الشعر مش ردة فعل وقالب اخلاق:
واللي بيحب لغايه مرأبي سراق
الشعر محبه ـ لا تسال شو المحبه
الشعر قلبي وما بقدر احكي قلبي
هالشعر بدو أم تهز سريرو
بدو شاعر فلاح يكسر نيرو
حامل نيرو عجبينو والنير تقيل
كاسرايدو وعميشحد منجيل لجيل :
ظنوا تكسير النير بكسر القافي :
وظنوا الحرف اللاتيني دوا شافي
بقافي أو بلا قافي القاصر قاصر
ابنالضيعه الا ما بيعرف يقرا شاعر

منينمنجيبو ،وهالشاعرما بعمرو كان؟
ما بيبقى غير تفكير مزور تزوير
الشعر محبه خلاقه وفعل خلاق
عمال يدين ربو بفايظ كبير
لا تسالني شو ربي وكيفو ربي
الشعركلمهان ما عشتاما الها تفسير
بدو شي عارف يعرف كيف يديرو
وكيفبدو يكسر نيرو الا عايشعالنير ؟
ودابر منباب(كافور) لباب(اسماعيل)
يا الف كسرة ايد ولا كسرة نير
المخلع شو بيفيدو يمشي حافي ؟
وظنوا تكسير النير بتغيير النير
بلاتيني وغير لاتيني الحرف كافر :
بيغبر عالمتنبي وعا شكسبير

وليم نجيب صعب

موديلياني .. جان الفنان الايطالي العظيم

*

اللوحـــات
أحجار القبر المتوازن
بين الدم والاجنحة القمريه
وعلى هامش ريح
يسكن خفقة نجم مصلوب

صفحات هواء مشتعله
تحمل برعمة الاشرعة البراقه
ومسافات هادئة تولد
فرح مرتعش يغزو الفرشاه
جـــان
ذهب هادىء
موديليانـــي
فسفور محترق في قمم الثلج
عبرهمـــا
يتقدم بحر للقاء

تتلاقى قمم الغابات بقاع البحر
تنطلق الجزر المسجونه
جـــان
لهب يتصاعد في خجل اخضر
وخيوط جناح
تتوالد نحو المجهول
موديليانـــي
كرؤوس جبال يعلوها ذهب ورماد
آه الزرقة ملتهبه
تحت الاشياء صلاة جحيم

تتحد الالوان بانفاس البحر
وتسير تجاه المرعى المعتم
لبواكب عاصفة حمراء

أمراء المنفى
عطر سحابات يصعد من بركان اخضر
ويجوب بمنتصف الليل المتناهي
اعلام خرساء
نبع اشقر
لبن يرشفه فجر أسود
عاصفة دون مجاديف

يحلم من أجل الموتى
ويسير كنحل فسفوري
ينزف لوحات .. رسلا تعتصر الريح

الابراج جليد يحتضن اللهب الموقوت
فيها تبتسم اللوحات
الوانا تدفع للخوف
وتشير الى جزر القمح المترمل

مجهـــولان
روعة مجد تسبح في الخلجان
تتلاطم في الظلمة والدم
موديلياني .. جان
منشور موسيقي في ألوان بكاء
لون غامض
بجناحين من المطر الحاد
يرحل في الموت
عبر عناق سكون

القاهرة
عبد الشافي داود

جلسنا حول مائدة حوت ما لذ وطاب، في مقهى فاخر من مقاهي الجبل ، تربع فوق ربوة مطلة على اروع ما نسجته طبيعة لبنان من لوحات يغرق فيها النظر . تهب علينا من الاعالي نسمات لا تحظى بها الا الاماكن التي جاورت السماء ومنها هـذا المقهى الذي دعي بحق « مقهى القمة » .

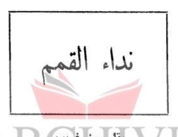
كنـا اربعة متقاربي العمر . في السن التي يبلغ صاحبها طور النضج والحكمة . ويحلو له ان يلقي نظرة على ماضيه يستنطقه العبر . جمال المناظر ونسمات الجبل تفتق القرائح وتحرك الالسنة . والمناسبة التـي جمعتنا تثـير رغبتنا في الكـلام . فصاحب المقهى صديق قديم قاسمناه حياة الدرس واللهو في مدرسة القرية او في اروقة الجامعة . وحين تم له تشييد هذا المقهى الرائع ، متوجا به مباني « المدينة الفندقية » التي شيدها على راس ذاك الجبـل ، راى ان يدعونا نحـن ، رفقاءه القدماء ، في جملة الجماهير التي دعاها لتدشين المجموعة الفخمة التي قضى شطرا من حياته في تصميمها .

« مقهى القمة » . قالها الرفيق الجالس ازائي ، مفخما حرف القاف ، مبرزا حركة الكسر في « القمة » ، كما يليق بصحافي قديم ضليع من اللغة العربية ، حريص على قواعدها ، يرى من واجبه ان يلقي فيها درسا كلما سنحت له الفرصة ، حتى ولو كان الموضوع الذي يعالجه بعيدا كل البعد عن اللغة وقواعدها .

وتابع الصحافي القديم قوله : اني سعيد والله لان رفيقنا العزيز تمكن من تشييد هذا الصرح الذي يعـد مفخرة من مفاخر السياحة اللبنانية . هـذا الصرح كلفه الملايين واقتضى بناؤه نحـو عشر سنين انفقهـا في تفتيت الصخور وشق الطرق ونقل الاتربة التـي صنع منهـا الحدائق الزاهرة . انـه اشبه بقصور بابل ذات الحدائق المعلقة .

تحـرك الرفيق الثانـي الجالس بجانبه ، وكان حتى هـذه اللحظة مغمض العينين ، مستسلما لنشوة الجمال الذي ملأ حواسه . فاذا به يستيقظ فجأة ليقول :

ــ قصة شكري ناصيف قصـة عجيبة تثير اهتمامي منذ زمن ويجب ان اقصها عليكم . كلكم عرفتم شكري ناصيف معرفة سطحية اما انا فكنت اقرب الناس اليه . كلانا نشأ في اسرة متوسطة الحال في قرية جبلية ، وكلانا كان اصغر اعضاء اسرته . اخـوه البكر اسعد ، مثـل اخي سامي ، تخرج في الجامعة ومارس وظيفته وما لبث حتى صار صاحب اسرة . كذلك



بقلم روز غريب

اخـي كان صاحب عائلـة وراتب محدود . لكنه التزم دفـع نفقاتي الجامعية تاركا لي مجال الانصراف الى دروسي دون اي شيء آخر ...

دخلت يومـا مطبـخ الجامعـة فصعقت حين رايت شكري ناصيف يلبس « الوزرة » او المريول الابيض وفي يده فوطة سفرة .. كان يخدم في مطعم الكلية حينا وفي المقهى حينـا آخر لسد حاجته الى النقود .

سألته : ماذا تفعل ؟

اجاب : اشتغل كما ترى .

قلت : واين اخوك الموظف الكبير ؟ لماذا لا تطلب منه مساعدة ؟



فقلب شفتيه وقال : اكـره شيء عندي الاستجداء . اخي صاحب عيلة وبالكاد يسد نفقاته .

ــ وانت تعمل خادما في المطبخ ؟

اجابني : ولم لا ؟ كل عمل يستحق الاحترام اذا كان فيه فائدة .

قلت متبجحا : انا لم استجد اخي ولم اطلب مساعدته بـل هو الذي تطوع للانفاق على تعليمي وابى ان يذكر لـي المبلغ الذي يدفعه عني للادارة كل سنة . هكذا يكون الاخوة والا فلا ...

اذكر ان الجدال طال بيننا لغير طائل ، لـم يتمكن احدنا من اقناع الآخر بصحة رايه . واذكر اني من ذلـك الحين اخذت احتقر صديقي شكري ناصيف وانظر اليه بعـين النقمة والنفور . كنا نتلقى دروسا واحـدة وتخرجنا في كليـة التجارة بدرجة عالية لكـن شكري نجح في احراز الاولية في جميع دروسه . ثم ذهب كل منا في سبيله . اخذت انا في التنقل مـن وظيفة الى اخرى حتى رسوت علـى وظيفة عادية وراتب مقبول . قريبا سأحال على التقاعد واعيش عيشة خمول . اما هو فقد احتقر الوظيفة كما احتقرت انا عمله في المطبخ . اختار المغامرة والعمل المستقل . هجر البلاد متنقلا بـين القارات . انتقل من مشروع صغير الى مشروع اكبر وها هو الآن صاحب ملايين . كنت قبلا احتقره حين اراه لابسا الوزرة وحاملا فوطة السفرة ، اما الآن فصرت احتقر نفسي واكن لهـذا الرجل اعجابا عميقا . اذا امكنني ان اراه بين الجموع المزدحمة حوله سأصافحه واهنئه .

قال الرجل عبارته الاخيرة بصوت بادي التأثر لفت اليه الرفيق الثالث الذي كان حتى هذه اللحظة غارقا في الصمت . فاستدار في كرسيه وقال :

ــ انا لا احترم شكري ناصيف لانه عصامي فالعصاميون كثيرون . لكني اعجب بـه لانه شق الصخور وارتقى القمـم وشيد فوقها هـذه

المدينة العجيبة فعمله شبيه بأعمال السحرة . وفي رأيي ان لا قيمة للمال ان لم ينفقه صاحبه في انجاز عمل كبير او مأثرة رفيعة القدر . اما الذين يكدسون المال لينفقوه على ملذات الطعام واللباس واللهو ، او يجمعونه ليسلموه الى الوارثين الذين يبذرونه ساخرين ممن جمعه ، فأقل ما يقال فيهم انهم اغبياء او قصار النظر .

ــ هل شكري ناصيف متزوج ؟ هل له اولاد ؟

طرحت هذا السؤال حين سمعت صاحبنا يذكر الوارثين وتبذيرهم . اذ ذاك رأيته يفتح عينيه ويرفع يديه متحمسا ليقول :

ــ **كل ما سمعتم عن شكري ناصيف كلام صحيح لا يرقى اليه** شك ، لكنه شديد النقص . فحقيقة الرجل لا يعرفها سواي .

ــ هات حدثنا ، هتفنا جميعا بصوت واحد . ماذا تعرف عن هذا الرجل الغريب الاطوار ؟ لقد اثرت فضولنا .

ــ ما اعرفه عنه حري بأن يدون في الكتب ، قال جليسنا الثالث متبجحا . شكري ناصيف هو الانسان الوحيد الذي استهوتني عشرته ، انا الانسان الذي لم يؤنسني في شبابي سوى عشرة الكتب والدفاتر . لازمته وكنت اقرب اليه من نفسه طوال عشرين سنة . شغل بعد تخرجه في الجامعة وظيفة ادارية لكن صاحب العمل قدم عليه شخصا لا يضاهيه نباهة ومقدرة فدفعه اباؤه وكبرياؤه الى ترك الوظيفة والسفر الى البرازيل حيث باشر تجارة مستقلة . كنت رفيقه ومديرا لاعماله الضخمة ومشاريعه الجبارة ، فما كان يضرب الا بالحجر الثقيل ، كأنما قلبه قد من هذه الصخور التي عايشها . رافقته في مجاهل البرازيل وصحاري افريقيا التي كانت مسرحا لمغامراته ، لكنه كان دائما يحلم بالرجوع الى وطنه وقريته .

دخلت عليه يوما فوجدته حزينا ، منقبض النفس ، على غير عادته . كان بيده رسالة جاءته من والديه وحين سألته عن سبب كآبته روى لي حكاية ماضيه بتفاصيلها .

كان في صغره يشكو اهمال والده له وتحقيره لامكاناته . فقد باع الوالد قسما من املاكه ليرسل ابنه الاكبر اسعد الى الجامعة ثم يمهد له سبيل الوظيفة والزواج . لكنه رفض الاهتمام بابنه الاصغر الذي كان يتحرق شوقا الى العلم . ولما سئل عن السبب اجاب انه لا يتوسم في الولد خيرا ولا يرى في العلم ضمانة لمستقبل اولاده . واضاف الاب : هوذا اخوه الذي انفقت على تعليمه اموالا طائلة ، ماذا افاد من العلم ؟ بالكاد يتوصل الى تحصيل ضروريات العيش ...

لكن الام انبرت لمساعدة الابن متحدية موقف زوجها . باعت سوارين ذهبيين كانت تحتفظ بهما لايام العسر . واخذت تستدين المال لتعليمه ، مؤملة ان تفي دينها مما تحصله من الانكباب على اشغال الابرة والصنارة التي برعت فيها براعة فائقة . ومع ان شكري ناصيف عمل في المطعم ــ كما يقول صاحبنا ــ لتحصيل بعض نفقاته ، كانت امه اكبر معين له على اكمال علومه وتأمين حاجاته . وحدها آمنت به وشددت عزائمه ...

وقد رافقته في الغربة صورة امه . ظل يذكر موقفها النبيل منه ودينه لها . كان يحمل فوق صدره حرزا اعطته اياه يوم ودعها فقالت له وهي تحبس دموعها : « اريد ان اراك تعود الينا سالما ولو لم يحالفك التوفيق » . فأقسم لها بأن يعود الى القرية مهما طالت غيبته . وسيعود حاملا اكاليل النجاح .

كان يتلقى من حين لآخر رسائل تروي له اخبار الاهل والقرية . **تقول** له حينا ان امه مريضة او ان اباه اصبح عاجزا غير قادر على الشغل . فيتألم ويقول : « وددت لو استطيع العودة الآن لكن الاشغال تضطرني الى التأجيل . والمال الذي في حوزتي لا يحقق الآمال » .

اخيرا عاد بعد غياب يقارب عشرين سنة . عاد ليرى اباه وامه في عداد الاموات . اخوه الاكبر باع البيت القديم وانتقل بأسرته الى قرية ساحلية تخلو من وعورة الجبل ومشقة العيش بين الصخور . قريته التي احبها واراد ان يقضي فيها بقية عمره تكاد تفرغ من السكان . لم يبق فيها سوى المقبرة التي ضمت عظام والديه واجداده ، وبضعة بيوت حجرية متداعية .

لكنه كان مصمما على تحقيق مشروعه الكبير الذي استهدف به تعمير القرية وانعاشها . نصحه السماسرة بمشترى اراض سهلية تهون معالجتها واستغلالها لكنه اصر على مشترى الارض في قريته الجبلية الشامخة . واستغل اصحاب الارض اصراره فرفعوا اسعارهم حتى بلغت ارقاما خيالية . واختلقوا له منافسين في الشراء ومزايدين حملوه من المتاعب والاهوال ما لم يحتمل مثله في ديار غربته . لكنه لم يتراجع بل رضي بأن يبذل كل ما لديه من نقود لشراء الجبل بأجمعه والتخلص من المنافسين .

وفجأة وجد نفسه فارغ اليدين الا من الاراضي الوعرة التي سجلت باسمه . فلم يقنط ولم يلعن اهل الجشع والطمع بل صح عزمه على الرجوع الى افريقيا ليواصل العمل . ولما رفضت انا مرافقته في مغامرته الجديدة ، وتسلمت الوظيفة التي اشغلها حاليا في معهد مهني ، رجع وحده ، وانفق عشر سنوات اخر في جمع المال لاتمام مشروعه الكبير . وهكذا كان ...

توقف المتحدث برهة يجمع فيها افكاره ثم قال :

ــ شكري ناصيف الآن رجل كهل ، اشيب ، وحيد ، بعد ثلاثين سنة من الكفاح في ديار الاغتراب . في وجهه غضون عميقة تحدث عن كفاحه

باقة ذكريات

لا تراعـي ان تغشانا المساء	او توارى عـن مغانينا الضياء
نحـن يـا اخت غمـام خلب	عبـر الافـق وورائه السماء
امسنـا حلـم تـراءى وخبـا	بعـد ان شـع هنـاء وصفاء
وأمانينـا التـي رفـت نـدى	لـم تعد تجلو الاسى والبرحاء
وعبرنـا الـدرب والورد بـه	فاتـن الطلعة وضـاح السناء
غـير انـا مـا شممنا عطره	فرجعنـا وأمانينـا هبـاء
يـا ابنة السفح واخت المنحنى	والربيع اللـذ حلـم الشعراء
حبنـا الوارف في السفح نمـا	كـم تغنينا وكـم طاب الغناء
كـم رشفنا الزهـر في ارجائه	وأخذنـا ووهبنـا مـا نشاء
وهزار الـدوح يشدو فوقنـا	وحفيف الغصن يوحـي بالرجاء
والندامى حمـل الشوق لهـم	سامر الحـي غنـاء وحـداء
ذكريـات كلمـا عنـت لنـا	درت العـين وفاضت بالبكـاء
غربـاء نحـن في اوطاننـا	ليتهـم صانوا دمـوع الغرباء
حبـذا لـو انصفوا في حكمهم	جرحوا القلـب وضنوا بالدواء
ايهـا الغائـب عـز الملتقـى	مـا عرفناك ضنينـا باللقـاء
انـا ارثيك ومن حـق الهوى	غـير اني صرت احرى بالرثاء

سلمية ــ سورية　　　　عارف تامر

وتروي مغامراته . تسألونني عـن زوجته ؟ لا ادري شيئا عنها . لعلها رفضت العودة معه الى هنا وبقيت في بلادها . لكني اعتقد ان شكري ناصيف سعيد . سعيد لانـه انجز المهمة التي نذر لهـا نفسه ووفى بالعهد الذي قطعه لامه .

*

في هـذه الاثنـاء كانت جمـوع المحتفلين بتدشين المجموعة الفندقية تزحف متجهة نحو الجبل . لم يسمع لزحفها اية جلبة ، كأنما سيطرت على افرادها رهبة المكان وراعهم شموخ الجبل وفخامة الابنية التي توسدت تلك المرتفعات . فحبسوا انفاسهم وخففوا وقع خطاهم .

كذلك نحن الاربعة المتحلقين حول المائدة المثقلة بالاطعمة المختارة . سيطر علينا الوجوم وداعبت اجفاننا نسمات رقيقة تغريهـا بالانغـلاق والراحة .

لكن اغنية انكليزية حفظتها في سن الشباب كانت تتردد في ذهني وتشق طريقها الى اوتار حنجرتي . فهمهمتها ثم ترنمت بها على مسامع جلسائي ، معيدا هذا القرار الذي يختصرها :

« لا اريد الجلوس على قمة الدنيا وحيدا ... »(1) .

غير ان الرفيق الذي عاشر شكري ناصيف عشرين سنة وزعم انه درس نفسيته ، عارضني بقوله :

ــ لا شك ان الناس مختلفون في آرائهم وهذا من حسن الحظ لان في الاختـلاف والتنوع جمـال الحيـاة ومتعتها . انت يعجبك ان تترنـم بأغنيتك الانكليزية التي توجز فلسفتك في العيش . اما هو فكان يترنم بأغنية اخرى . اعتقد انه اخذها عن شاعر لاتيني قديم ، تصف سعادة الانسان المنفرد . وفي ظني انه عنى المنفرد بتصرفه ، المنكر للتقليد والتبعية ...

روز غريب

---

(1) ــ القرار هو في الانكليزية :

I don't want to be sitting on top of the world,
If I had to be sitting alone.

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(١)

فلوبير ، تأليف فيكتور برومبير ، ترجمة غالية شملي ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، سلسلة اعلام الفكر العالمي ، تموز ١٩٧٨ .

١ ــ يحسن ، بل يجب ، ان تحتفظ الترجمة بعنوان الكتاب واسم مؤلفه ودار النشر باللغة الاصلية مع النص على سنة الطبع .

٢ ــ يختلف عنوان الكتاب بين غلافيه ، فهو على الغلاف الخارجي « فلوبير » فقط ، وهـو على الغلاف الداخلي « غوستاف فلوبير » واشك ان يكون هـذا في الاصل . زد على مـا يؤدي اليه ذلك من اضطرابات « مكتبية » .

٣ ــ ثم تأتينا المشكلة المستعصية ، مشكلة G الاوروبية ، فهي في لبنان وسوريا : غ ، وهي في مصر : ج ، والعراق (وغيره) يضطرب بين هؤلاء وهؤلاء . ويا حبذا ــ الف يا حبذا ــ لو توصل المجمع الى حل يجمع عليه ثم هي في الجزائر ف وفي تونس ک ... وهكذا ، وربما كانت الكاف (اي الكاف بخطين) الفارسية مما يعين على حل المشكلة . وربما استعملت ــ كذلك ــ في العراق .

٤ ــ ص ٦ « فهو يقول لـ « مونباسان » ، وتكررت ص ٦٢ .

الصحيح : موباسان ــ ولا بد من رجوع الخطأ الى المطبعة . تنظر ص ١٨٢ .

٥ ــ ص ٧ « فتشويه الحقيقة هو بالواقع سبيلا الى رفضها » .

الصحيح : ... هو ، في الواقع ، سبيل ...

٦ ــ ص ١٠ « مع قصته هيرودبا » .

الصحيح : هيروديا ــ وهو من الخطأ المطبعي . تنظر ص ١٧٢ .

٧ ــ ص ١٠ «من السهل اضحاك الناس وابكائهم» .

الصحيح : ابكاؤهم .

٨ ــ ص ١١ « يصف بلدته كرواسيه » ، ص ٢١ .

الصحيح : كرواسه لانها Croisset . وسترد في الكتاب صحيحة ص ١١٠ ، ١٨٦ .

هذا الى انها ليست بلدة وانما هي قرية .

٩ ــ ص ١٤ « لا يجب اعتبار هذه العزلة ... » .

الصحيح : يجب الا تعتبر هذه العزلة ...

ص ٤٥ « التي لا يجب ان يتخذ منها موضوعا » : التي يجب الا يتخذ منها .

١٠ ــ ص ١٩ « فنحن لا نشعر بثقل الحياة على عاهلنا » .

صحيح عاهلنا : كاهلنا .

١١ ــ ص ٢٠ « تكمن روعة فلوبير في تلك المناقضات بين « الواقعية » و « الايديالية » .

وتكررت كلمة « الايديالية » ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٩٥ ، ١٠٥ ، ١٠٥ .

مع امكان ترجمتها بالمثالية ، وان المترجمة تضع « المثالية » احيانا مكانها كما في ص ٣٩ ، ١٠٨ ، ١١٥ .

١٢ ــ ص ٢٣ « الكمال هو في اتباع لغة ادبية تذري بكل حشو » .

الصحيح : تزري ــ والخطأ بين الذال والزاي من مألوف المطبعة اللبنانية (والمصرية) .

١٣ ــ ص ٣٣ « النوايا » ، ص ١١١ .

لقد شاع الاستعمال على رغم تنبيه النقد اللغوي ودعوته الى استعمال « النيات » .

١٤ ــ ص ٣٤ « انهما وجهي ماري » : وجها .

١٥ ــ ص ٣٧ « ولم يحظ فيها سوى بالضجر » .

الصحيح : ولم يحظ فيها بسوى (او بغير) الضجر .

١٦ ــ ص ٤٢ « تطابق الانانية النفسية التـي تتناولها الجزء الحادي والعشرين » : الجـزء الحادي والعشرون .

١٧ ــ ص ٤٤ « الالفاز » : الالغاز ــ وهو من الخطأ المطبعي .

١٨ ــ ص ٤٥ « ليس الصراع ... تجارة رخيصة ولهو » : ولهوا .

١٩ ــ ص ٤٧ « اعلن في الرابعة عشر من عمره » : الرابعة عشرة .

٢٠ ــ ص ٤٩ « كلما شابهته كلما دنت من التجرد » .

الصحيح : كلما شابهته ، دنت من التجرد .

٢١ ــ ص ٥٢ « اي شكل يصبغ عليه » : لعـل المقصود : يسبغ .

٢٢ ــ ص ٥٤ « نشأت عادة التأليف لديه بالقطع » : وردت القطع بضم القاف والصحيح كسرها .

٢٣ ــ ص ٦٣ « وكأنها ساكنة » : ورد خبر كأن منصوبا والصحيح ان يرد مرفوعا .

٢٤ ــ ص ٧٣ « نتنزه ونحن جالسين » .

الصحيح : ونحن جالسون .

٢٥ ــ ص ٨١ « هذا الفراغ ... مناط بصعوبة جمع الوثائق » : منوط .

٢٦ — ص ٨٥ « الجنود يرتوون ويشبعون وهم مستندين على مرافقهم » .
الصحيح : وهم مستندون .
٢٧ — ص ٨٦ « مكائد » : مكايد .
٢٨ — ص ٩٣ « يخل هذا الداء المفجع نظام الاحساس ويؤدي الى احتداد الطمع » .
الصحيح : يخل ... بنظام ... وربما كان صحيح « الطمع » : الطبع .
٢٩ — ص ٩٨ « من اثنتي عشر صفحة » : من اثنتي عشرة صفحة .
٣٠ — ص ٩٩ « اني اعتبر ان هذا الكتاب بعيدا عن كونه تكبرا وعطرسة وحشية » .
الصحيح والمناسب : اني اعتبر (او اعد) هذا الكتاب بعيدا . ولو بقيت عبارة المترجمة كما هي لما كان موجب لنصب بعيد .
٣١ — ص ١٠٠ « النضوج » : النضج .
٣٢ — ص ١٠٢ « القساوة التي يلقاها الاسرى السياسيون المعتقلين » .
الصحيح : السياسيون المعتقلون .
٣٣ — ص ١٠٥ « ليست السياسة ، بالنسبة لفلوبير ، سوى مظهرا عاما ومكروها » .
الصحيح : سوى مظهر عام مكروه .
٣٥ — ص ١١٤ « لا تمجد اليافطات التي تحمل اسماء القابلات » .
كلمة « اليافطات » من العامية يلجأ اليها المترجم عادة لشيوعها . وربما كانت « اللوحة » كلمة مناسبة او اللافتة .
٣٦ — ص ١١٤ « كان المطر ينهمر والجو بارد » : باردا .
٣٧ — ص ١١٥ « تحني اشجار الدرداء اعضائها برخاوة » : اذا كانت كلمة الاعضاء في مكانها الطبيعي من الاصل فالصحيح ان نقول : تحني اعضاءها . واذا كانت من الخطأ المطبعي فقد تكون اغصانها .
٣٨ — ص ١١٩ « فهو شاهد عيان غير مبال او ساخطا ، ومشدوها بالجموع ، مندفعا ... » .
الصحيح : ساخط ، مشدوه ، مندفع .
٣٩ — ص ١٢١ « البرت تيبوديه » : البر تيبوده لانه ... Thibaudet .
٤٠ — ص ١٢٢ « لقد فلح ... » : افلح .
٤١ — ص ١٢٥ « لا يعتبره غيبا » : عيبا — وهو من الخطأ المطبعي .
٤٢ — ص ١٢٦ « فهي تمثل ... حالة نفسية ونظام فكري » : ونظاما فكريا .
٤٣ — ص ١٧٧ « ساموئيل بكيت » . اعتدنا كتابته صاموئيل .
٤٤ — ص ١٧٧ « يتوهان » : يتيهان .
٤٥ — ص ١٨٠ « هل يعتبر عمل النسخ عملا ساخرا او رهباني » : او رهبانيا .
٤٦ — ص ١٨٤ « نشر برونتيار ... في عام ١٨٩٥ ، بنده الشهير الذي يتناول فشل العلوم » .
برونتيار : برونتير لانه Brunetière .
واذا كانت « فشل » قد شاعت ، فان ذلك لا يغني عن استعمال « اخفاق » .
٤٧ — ص ١٨٨ « كلما ازداد تفكيرهما ، كلما اضناهما العذاب » .
الصحيح : كلما ازداد تفكيرهما ، اضناهما العذاب .
٤٨ — ص ١٨٩ « حتى لو كان غير مجديا » : غير مجد .

(٢)

كافكا — تأليف اوزبورن ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، بيروت ، المؤسسة العربية ، د.ت.
١ — ص ٢٣ « أنا عازب » ، ص ١٥٩ « عزوبية » :
جاء في القاموس : « العزب محركة ... ولا تقل اعزب او قليل ... والاسم العزبة والعزوبة مضمومتين » .
٢ — ص ٢٦ « حالته خطيرة للغاية » ، في المعجمات : « الخطير من كل شيء : النبيل ، الشريف ، الرفيع » .
٣ — ص ٨٥ « قصة الجذع ، قصة الولد الذي يبهج ويسحر كل انسان » : اخشى ان يقصد المترجم الى « الجدع » المصرية !
٤ — ص ١٥٧ « ينقصهم العزم للعمل » : يعوزهم العزم ، لان العزم — كما علمنا استاذنا الدكتور مصطفى جواد — لا ينقص . وتنظر ص ١٥٥ .
٥ — ص ١٥٨ « الشكلة التي شيطنت حياته » .
فما معنى شيطنت بالعربية ؟ !
٦ — ص ١٥٧ « كانوا مشلوحين من الاساطير » .
ما معنى مشلوحين ... ؟
٧ — ص ١٦٤ « وعندما يتحدث كاموا عن النزعة الطبيعية ... » : كامو .
٨ — ص ١٧٣ « ان الفن الناتج لا يجب ان يفهم على انه ... » .
الصحيح : « ... يجب الا يفهم ... » .
٩ — ص ٨٩ « ان نصف الثماني فصول ... » .
الصحيح : ان نصف ثمانية الفصول ...
١٠ — ص ١٦٠ « اكتشف اربعة وقائع ... » .
الصحيح : اربع وقائع .

(٣)

زولا — تأليف مارك برنارد ، ترجمة غالية شملي ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، سلسلة اعلام الفكر العالمي ، تشرين الاول ١٩٧٨ .

١ — يحمل الغلاف الخارجي اسم « زولا » ويحمل الغلاف الداخلي اسم « اميل زولا » .

المعقول التوحيد . واشك ان يكون الاصل كذلك .

٢ — مناسب جدا ، بل واجب ان يثبت المترجمون منا عنوان الكتاب واسم مؤلفه ودار النشر وعام الصدور باللغة التي يترجمون عنها . ولم تفعل المترجمة هنا ذلك .

٣ — ص ١٢ « ان الحقيقة كئيبة ... فلنأكل ولنشرب ولنشبع شهواتنا . ولكن لتنعم نفسنا بحصتها ، وليضفي الخيال علينا السعادة » .

الصحيح : وليضف .

٤ — ص ١٣ « سانت بيار » .

الصحيح : سان بيير .

٥ — ص ١٤ « كلما يعرض عليهما زولا التعاون والتآزر يثوران » .

الصحيح : كلما عرض ... ثارا .

٦ — ص ١٦ « انه يدرك مراده ويعمل المستحيل للحظي به والفوز » : للحظوة به .

٧ — ص ٢٥ « ان الاستحالات والصعوبات تستميلني ... » .

الصحيح : ان المستحيلات .

٨ — ص ٣٠ ، وتتكرر « مكارت » .

الصحيح : ماكار .

٩ — ص ٣٢ « القصة الطبيعية والاجتماعية لعائلة تعيش اثناء الدولة الثانية » .

لا بـد ان تكون ترجمة الاصل : التاريخ الطبيعي والاجتماعي لعائلة تعيش اثناء الامبراطورية الثانية .

١٠ — ص ٤٠ « ما يفتأون ان يقاسوا من خيبة الامل » .

الصحيح : ما يفتأون يقاسون خيبة الامل .

١١ — ص ٥٩ « اني مغرم في تتويه قرائي » .

تستعمل الفعل تاه يتوه . والصحيح : يتيه .

١١ — ص ٦٨ « بعد ان وجهت اشارة الى قائد الفرقة الموسيقية تأذنه ببدء العزف » .

الصحيح : تأذن له .

١٢ — ص ٦٩ « الرجال الذين افسحوا امامها الطريق » .

صحيح افسحوا : فسحوا .

١٣ — ص ٧١ « لم يجب على سؤالها » .

الصحيح : عن سؤالها .

١٤ — ص ٧٢ « لم يستطيع » : لم يستطع .

١٥ — ص ٩١ « ان ست فتيات من اصل عشرة ... » : من اصل عشر .

١٦ — ص ٩٢ « عادوا سوية » : معا .

١٧ — ص ١٠٧ « ليس هؤلاء الموقعين الخمسة من اصدقائي » .

الصحيح : ليس هؤلاء الموقعون .

١٨ — ص ٧٤ « قضية درايفس » : قضية دريفس (تنظر ص ١٢١) .

١٩ — ص ١٢٨ « المكائد » : المكايد .

٢٠ — ص ١٣٥ — ١٣٦ « ينبغي ان يلقى بالبلهاء زمرات زمرات في ساحة الاعتصاب » .

المألوف المستساغ : زمرا زمرا .

٢١ — ص ١٣٧ « الفونكور » : الغونكور — والخطأ مطبعي .

٢٢ — ص ١٥٧ « قصص الى بينون » والصحيح « نينون » ، وربماكانت كلمة « حكايات » انسب من « قصص » — وبينون من الخطأ المطبعي .

٢٣ — لا تنفي هذه هذه الملاحظات قدرة المترجمة على اداء مهمتها واهليتها لمثل هذه المهمة وامكان تقدمها فيها — وكم كان مناسبا لو عرضت ترجمتها على من هو اعرف منها بقواعد اللغة العربية .

(٤)

علي ادهم — تاريخ التاريخ ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة كتابك — ٦ سنة ١٩٧٧ .

١ — ص ٥٠ « والمعروف ان اول من قام بالتاليف في المغازي هو ابان بن عثمان بن عفان الذي توفي سنة ١٠٥ او قبلها ... » .

وردت ابان في هذه الصفحة خمس مرات ، وترد كل مرة منها مكسورة الهمزة . وهذا غير صحيح ، والصحيح هو فتح الهمزة : أبان كسحاب .

٢ — ص ٥٣ « هشام » : ابن هشام (وهو من الخطأ المطبعي) .

(٥)

الآداب الاجنبية ، مجلة ، دمشق ، نيسان ١٩٧٩ (عدد خاص عن الرواية) .

١ — ملاحظة عامة على هذا العدد وغيره : ضرورة اثبات المصدر المترجم عنه ، واسم المؤلف ، ودار النشر ، وسنة الطبع ... باللغة الاصلية . وضرورة ذكر اللغة المترجم عنها ، فقد يكون الاصل روسيا والترجمة الحالية عن الانكليزية ، وقد يكون الاصل المانيا ، او فرنسيا ... او مجريا ... والترجمة الحالية لم تكن مباشرة .

٢ — ص ٦١ : ادب المقامات والرواية التشردية الاسبانية — جرير ابو حيدر ، ترجمة ابراهيم يحيى الشهابي . لم يذكر المصدر ، ولا اللغة المترجم عنها .

ذكر الشريشي شارح مقامات الحريري على انه « معلق » وفي هذا تأثر باللغة المنقول عنها ، ثم اذا كان

الشريشي عربيا فما الداعي الى كتابة اسمه بالحروف الاوروبية Sharishi ازاء اسمه ؟ ! (ص ٦٣) .

وكذلك فعل في الصفحة نفسها مع شارح عربي آخر بعد ان زاد خطأ جديدا هو الخطأ في كتابة الاسم بالعربية ، فقال : « ويبدو ان معلقا آخر هو المطريزي Mutarrizi ... » .

والصحيح : « ... ان شارحا آخر هو المطرزي » — والرسم الغربي يدل على اللفظ العربي .

ص ٦٤ « انا الذي انجد واتهم » .

الصحيح : واتهم .

ص ٦٤ « طولوليدو » Toledo .

الصحيح : طليطلة .

ص ٦٩ « ابن الجوزي ... ترك لنا مؤلفين ضخمين احدهما عن الاذكياء ... والآخر ... اخبار الظراف والمتجنين » .

والصحيح : ان الكتابين ليسا ضخمين . واسم الكتاب الثاني : اخبار الظراف والمتماجنين .

ص ٧٠ « المقامات الخمسون لأبي طاهر محمد بن يوسف السراقوستي ... ولقد رأيت من هذه المقامات نسخا ممزقة ناقصة في مكتبة القرويين في فيز Fez ... » .

صحيح السراقوستي : السرقسطي .

وصحيح فيز : فاس .

ص ٧٠ «المكتبة الاسقورية»

الصحيح : مكتبة الاسكوريال . El-Escorial library

ص ٦٩ « ورغم ان الحنفي كان يعالج موضوعات تشردية ... كما انبأنا في مقدمته التمهيدية ، الفارس بن بسام راوية وابا عمر التنوخي بطلا ... » .

هكذا يرد « الحنفي » مجردا من كل تعليق كأنه الحنفي الوحيد . والحقيقة انه « ابو العلاء احمد بن ابي بكر بن احمد الرازي الحنفي الذي الف ثلاثين مقامة طبعت في ستانبول مع مقامات ابن ناقيا في مجلد واحد — ينظر شوقي ضيف ، المقامة ، ص ٧٧ ، وفيه ايضا ان البطل هو ابو عمرو وليس ابا عمر . وتنظر دائرة المعارف الاسلامية ، مقامة ... (MAKAMA) .

ص ٧١ « نذكر ... ما قام به المؤلف اليهودي الاندلسي يهود الحريزي » في دائرة المعارف الاسلامية ، مقامة : يهودا بن شلومو الحريزي .

ص ٦٥ « فالينشيا Valencia » .

الصحيح : بلنسية .

ملاحظة اخرى : المناسب بل الواجب في المترجم ان يكون عارفا بالموضوع الذي يتصدى له ، ومترجمنا لم يدل على معرفة بالاعلام العربية من مؤلفين وكتب ومدن اندلسية ... كما راينا .

٣ — ص ٢٣٩ « ومن ابرز ما كتبه — مكسيم غوركي — رواية حياة كليم سمفين » .

الصحيح : كليم سمغين (او سمجين او سمكين — بخطين للكاف الفارسي) .

ص ٢٤٠ « بانفيروف في روايته المسنات » .

ربما يريد « المسناة » .!

٤ — الان روب غريبه وقضايا الرواية الجديدة ترجمة زياد العودة ص ٤٠٦ — ٤٣٠ .

أ — لا موجب للشدة على الياء الاولى من « غريبه » ولا حاجة الى ياءين .

ب — اسم الاديب الفرنسي المدروس مركب فهو Robbe-Grillet والواجب ان يظهر التركيب في الرسم العربي فيكون روب — كريه .

ج — وردت ص ٤١٨ « نهاية الرواية البالزاسية (نسبة الى بالزاك) ... » .

والصحيح ان نقول الرواية البالزاكية ، فنحن غير ملزمين بصيغ النسب الفرنسية : هم ينسبون الى بالزاك ، بالزاسيه لانهم يكتبون اسم العلم هكذا Balzac فاذا نسبوا اليه قالوا Balzacien ويلفظونها — في هذه الحال — بالزاسين (بالزاسي) .

اما نحن فننسب الى بالزاك : بالزاكي ... بالزاكية .

(٦)

آفاق عربية ، مجلة ، بغداد ، تموز ١٩٧٩ .

ص ٦٦ « نظرية الشعر بين لونجينوس والجرجاني — محيي الدين صبحي » .

ذكر الباحث « مراجع البحث » فقال ... « النقد الادبي — تاريخ موجز ، اربعة اجزاء من تأليف ويليام ويمزات وكلينيث بروكس ، ترجمة محيي الدين صبحي » .

والذي نعرفه ان ترجمة الكتاب المذكور صدرت بدمشق عن المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وورد على الغلافين من كل جزء انه « ترجمة د. حسام الخطيب ، محيي الدين صبحي » — صدر الجزء الاول سنة ١٩٧٣ .

(٧)

الموقف الادبي ، مجلة ، دمشق ، تموز ١٩٧٩ .

ص ٦٠ « بانوراما — القصة الجزائرية من سنة ٧٠ الى ٧٨ — الاعرج واسيني » .

أ — لم هذه « البانوراما » ؟ اما يمكن استعمال كلمة عربية ، مثل استعراض او نظرة شاملة او عرض عام ... او ما اشبه ذلك ؟

ب — ورد في « المقال » ص ٦١ « وكان القاص محمد العريبي اول اديب جزائري يمارس فن القصة خارج الجزائر ... » .

وورد في المقال اسم « رضا حوحو » وانه « كان اول من مارسها داخل الجزائر ... » .

وكـان المناسب ان يشار الـى ان حوحو زاول — او مارس — فن القصة خارج الجزائر ... فقد عاش في الحجاز وكان له فيه نشاط ادبي مهم ، منه قصصي ، لـه اثره في تاريخ الادب الحجازي ، وكان يجيـد اللغة الفرنسية ، عمل سكرتيرا لتحرير مجلة المنهل ، ومما نشره في مجلة المنهل «ادباء المظهر» ، جمادى الثانية سنة ١٣٥٨ ، ومن الكتب التي اصدرها او كتبها « غادة ام القرى » ، « صاحب الوحي » وقصص اخـرى ، وتشـير مصادر التعريف به الى مخطوطة لـه بعنوان « عشر سنوات في الحجاز » .

ان الاشارة الى وجود رضا حوحو (احمد رضا حوحو) خارج الجزائر والالمام بنشاطه القصصي في الحجاز من متممات بحث الاعرج واسيني . وربما كان هذا النشاط مما يجهله الكثيرون من جيل الشباب .

(٨)

الآداب الاجنبية ، مجلة ، دمشق ، تموز ١٩٧٩ .

١ — ص ٥ — ١٢ « حول الواقعية الاشتراكية بقلم اناتولي لوناتشارسكي ، تجمة د. حسام الخطيب » .

أ — النص ، سبق ان ترجم في مصر .

ب — لم تذكر المجلة مصدر النص ، واللغة التي ترجم عنها — وتتكرر هذه الملاحظة .

ج — ص ٧ « الطبيعة » : الطبيعية .

د — ص ١١ « تنقصه تلك القابلية للحسم » : تعوزه .

٢ — ص ١٣ — ٣٨ « ملاحظات ازاء القصة الهزلية . روبرت برنارد مارتن ، ترجمة محيي الدين صبحي » .

أ — ص ٢٢ « لان المتحاورون » : لان المتحاورين .

ب — ص ٢٧ « ان الرجل العازب » : العزب .

ج — ص ٢٧ « مـن المفاجيء » : مـن المفاجيء (الياء من غير نقاط) .

د — ص ٢٨ « اشتركا سوية » : اشتركا معا .

هـ — المؤلف استاذ الانكليزية في جامعة برنستون ، والمفروض ان ياتي بحثه حسب خطة متماسكة بعيدة عن اللغو والتطويل مقتصرة على الضروري والاصيل ... ولكن شيئا من هذا المفروض لم يتحقق .

٣ — ص ٣٩ « كوليت الفرنسية » .

أ — كوليت اديبة مشهورة جدا في فرنسا ، فما معنى وصفها هنا في العنوان بالفرنسية . لا موجب الى ذلك . هذا الى انه يوحي الى القارىء العربي ان الكاتبة تعرف هناك بهذا الاسم : كوليت الفرنسية وليس لهذا ظل من الصحة .

ب — « ويللى » : ولي .

ج — ص ٤٣ « التوامان جوبير » : الصحيح التوام جوبير . وردت جوبرت ص ٤٤ باثبات التاء وهو خطأ لدى اللفظ .

د — ص ٤٣ « فأخذت من فرحي اخرخر كالقطة » . ما معنى « اخرخر » بالعربية الفصيحة ؟

هـ — ص ٥٠ « لدي امنية وحيدة هو هذا الرجل » . الصحيح : هي هذا الرجل .

و — ص ٥١ « الحنين الى الجواء الفسيحة » : ... الاجواء .

في لسان العرب : « الجو : الهواء ... والجو ما بين السماء والارض . وفي حديث علي ، رضوان الله عليه : ثم فتق الاجواء وشق الارجاء ، جمع جو وهو ما بين السماء والارض ... » .

اما الجواء فهو « موضع بعينه ... وهو خياطة حياء الناقة . والجواء : البطن مـن الارض . والجواء : الواسع من الاودية . والجواء : موضع بالصمان ... والجواء : الفرجة بين بيوت القوم ... والجواء ... ما توضع على القدر ... وجمعها اجوية ... » . « قال الازهري : الجو ما اتسع من الارض واطمأن وبرز ، قال : وفي بلاد العرب اجوية كثيرة كل جو منها يعرف بما نسب اليه ... يقال نزلنا جواء بني فلان ... » .

الخلاصة ان الصحيح ان نقول : الحنين الى الاجواء الفسيحة .

٤ — يوسف نونيشويلي ...

أ — ص ٩٢ « كنت في تيبيليسي ... » : تبيليسي هي تفليس عاصمة جورجيا .

ب — ص ٩٧ « بمئة وعشرون الف نسخة » : بمئة وعشرين ...

٥ — المجريون .

أ — ص ١٤٩ « غمس يده في جيبه » : ادخل يده ...

٦ — اخبار ثقافية .

أ — ص ٢١٦ « يجب ان يكون الناس ... موادا تخدم الواقعية » .
الصحيح : مواد .

ب — ص ٢١٦ « ميشيل بيوتر » : بوتور .

(٩)

الثقافة العربية ، مجلة ، ليبيا ، طرابلس ، يونيو — حزيران ١٩٧٩ .

بـاب الحياة الثقافية ، الجزائر . أ — محاضرات (ص ١٥٥) : « في اطار التبادل الثقافي بـين الجزائر والعراق ... القت الكاتبة العراقية منـى كريدي ... محاضرة بعنوان : ميلاد وتطور الكتاب الثقافي في العراق » .
الصحيح : القى الكاتب العراقي موسى كريدي ....

وهو اديب قاص معروف لـه مجموعتان ويشغل رئاسة تحرير سلسلة « الموسوعة الصغيرة » .

ب ـ « صراع الاجيال ... للكاتب الجزائري عبد الحميد بن هدوقه ... كما ان روايته « ريح الجنون » ترجمت الى البولونية ... » .

الصحيح : ريح الجنوب (بالباء) ـ وقد صدرت طبعتها الثالثة منقحة سنة ١٩٧٦ .

الخطر في مثل هذه الاخطاء ان اخبار المجلة تنتشر بعيدا خارج البلد الذي يعرف الحقيقة جيدا ، فيحسب القارىء البعيد الخطأ صحيحا ... على ما في الخطأ مما يضحك او يؤلم !

(١٠)

طه حسين ـ تقليد وتجديد (كتاب ينشر للمرة الاولى) ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٧٨ .

١ ـ اكثر آرائه ، سبقت في كتب طه حسين الاخرى مثل حديث الاربعاء ومن حديث الشعر والنثر .

٢ ـ وهو يصر على ان سبب وجود الغزل العذري : الفقر . وكان استاذنا الدكتور البصير قد ناقشه واثبت ان جميل بثينة مثلا لم يكن فقيرا ، فهو القائل :

ابيت مع الهلاك ضيفا لاهلها واهلي قريب موسرون ذوو فضل

٣ ـ وفيه محاولة لانصاف شوقي . ووضع طبيعي للشعراء الشباب (العقاد والمازني وشكري) بمعنى يقلل في حدود معقولة من الشأن الذي يضاف اليهم في التجديد .

٤ ـ لم يتعرض لما سماه يوما بالانتحال ، وتحدث عن الشعر الجاهلي وكأنه امر قائم (ص ٢٦) .

٥ ـ في حديثه عن مطران ... قال : « وهو كأبي تمام كان موضوع النزاع بين مصر وبين لبنان . فكانت مصر والشام تتنازعان ابا تمام لان ابا تمام ولد وشب واقام بمصر وكذلك كانت مصر ولبنان تتنازعان خليل مطران » .

أ ـ لا بد من ان يكون قد سقط من الكلام شيء ، كأن يكون الاصل « ... لان ابا تمام ولد وشب في الشام ، واقام بمصر ... » .

ب ـ ليس وجه الشبه لدى التحقق على الوجه الذي يريد ان يظهره طه حسين .

ج ـ اذا كان لا بد من التنازع على ابي تمام فيحسن ان يذكر العراق وتذكر بلاد الفرس ... لان المنطق واحد .

٦ ـ لم يخرج طه حسين في كتابه عن حدود مصر ... ويمكن ان يعزى ذلك الـى اسباب كثيرة منها الحدة في مصريته ... ولكن لا بد من ان يكون محدود الاطلاع على الادب العربي خارج مصر ... اقول هذا وانا غير مقتنع فكيف يمكن لطه حسين ان يجهل المهجر ، ويجهل الاخطل الصغير وعمر ابـو ريشه والياس ابـو شبكة ... والجواهري ... أيكون « حفني ناصف » اجدر من هؤلاء بالذكر والدرس ... واذ ذكر حفني ناصف ، كان من الممكن ان يذكر « الكاظمي » .

٧ ـ في الكتاب استعمالات لا يقرها اللغويون ، ولا يرتاحون اليها في اقل تقدير ، من ذلك ص ٢٥ « قد لا نحس » ، ص ٦٤ ، ١٠٩ « ... بين ... وبين ... » ، ص ١٢١ « الاهالي » .

٨ ـ ورد خطأ مطبعي لا يصح ان يرد في كتاب لطه حسين فقد فتحت همزة ان (ص ٨٠) بعد حيث ، والواجب كسرها ، ورفع منصوب (ص ٩٩) : « وما اعرف شاعر مصريا في هذا العصر ... » .

٩ ـ مـن الاستعمالات التي تلفت النظر ويحسن ادخارها للاستشهاد قوله ص ٩١ : « وكان ـ شوقي ـ اذا فرض ان تنشد له قصيدة طلب الى بعض الصديق ان ينشد هذه القصيدة » .

وقال ص ٢٧ « ولكن هذا التجديد ... لم يتعمق نفوس العرب » .

واستعمل امتاز مرتين ، فقال مرة (ص ١٢٣) : امتاز منهم ، وقال مرة (ص ١٢٧) يمتاز عنهم . واستعمل الثورة مرتين في صفحة واحدة (١٣٥) فقال « الثورة بهذا الشعر » ، وقال « الثورة على الادب » .

١٠ ـ استعمل ص ١١٧ « ملاعب التمثيل » ولـم يستعمل « المسارح » .

١١ ـ وردت ص ١٢٩ كلمة « الدرعمي » وهي تعني النسب الى « دار العلوم » .

١٢ ـ قال ص ١١٣ « وخليل مطران قد عمر اكثر من صاحبيه (شوقي وحافظ) ، وعسى ان يكون قد نشأ قبلهما » .

فماذا يريد بـ « عسى » هذه ؟ أيثبت بها النشأة السابقة ام يريد ان يقول انه غير متأكد ؟ فاذا كانت الثانية واستعنا بأعـلام الزركلي رأينـا شوقي الاسبق ولادة (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) . وولد حافظ ومطران في تاريخين متقاربين كثيرا . ولد حافظ سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧١م ، وولد مطران سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م .

ومع هذا ، فان مطران قد عمر اكثر من صاحبيه بدليل تواريخ الوفيات ، وقد توفي مطران سنة ١٩٤٩ على حين توفي صاحباه سنة ١٩٣٢ .

١٣ ـ اكثر ما يؤكده من اسباب التجديد اتصال العرب بالامم الاخرى قديما وحديثا . وكلما كان الاتصال اقوى واتم كان التجديد اقوى واتم ... ـ ومن هنا يقل شأن تجديد الشعراء الشباب (العقاد والمازني وشكري) .

١٤ ـ ص ١١٢ « كان ابو تمام اشبـه الشعراء القدماء بالشعراء الاوروبيين المعاصرين ، فشعـره ليس نتيجة للطبع الخالص ، ولكنه نتيجة للطبع والعقل والارادة جميعا » .

١٥ ـ ص ٢١ « ليس كل محافظة على القديم تقليدا

ولا كل اضافة الى القديم تجديدا ... » .

١٦ — قال اشياء كثيرة جيدة عن مطران ، ولكن القارئ يحس ان لديه اشياء اخرى يمنعه امر في نفسه ، قد تكون المصرية ، عن الانطلاق حرا في القول .

١٧ — الكتاب او الكتيب مجموعة احاديث اذاعية ورد في احدها عام ١٩٥٥ (ص ١٢١) . ونتمنى — بهذه المناسبة لو صدر كتاب آخر يضم احاديثه التي كانت تذيعها اذاعة الكويت في اواخر ايامه — وقد تتبنى ذلك دار العلم للملايين .

(١١)

المخرج في المسرح المعاصر — سعد اردش . الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، يوليو (تموز) ١٩٧٩ .

١ — كتاب جدير بالقراءة — ترى اما كان للمؤلف مرجع عام بالعنوان نفسه رجع اليه لدى التاليف ؟

٢ — يتألف الكتاب من تمهيد وسبعة ابواب . وكان الذي يقتضيه منهج البحث ان تسمى الابواب فصولا .

٣ — ص ١٣٠ « وجد نفسه امام حقيقتين كلاهما واقع » .

الصحيح : كلتاهما ...

٤ — ص ١٤٢ « كلما كانت المسرحية غنية ... كلما كانت تقدم للمخرج فرصة عمل عميق » .

الصحيح : حذف « كلما » الثانية .

٥ — ترجمت كلمة Catharthis ص ٢٠٧ بعاطفتي الشفقة والتطهير ، وترجمت ص ٢١٤ بعنصر التفريج .

٦ — يترجم — كما يترجم آخرون الكلمة الفرنسية Jeuباللعب (تنظر ص ٢١٤ ، ٢٧٦ ، ٢٩٢) وهي ترجمة حرفية لا اراها موفقة والانسب ان نترجمها بالتمثيل ، لما للعب من موحيات تقلل من الشأن الفني للعملية ، ومثلها يلعب ، نترجمها يمثل .

٧ — ص ٢٦٢ شيللي Shelly ، الصحيح : شلي .

٨ — ص ٢٦٥ « كلوديل ... الذي يقدم له ... نعال الشيطان Soulier de Satain ... » .

الصحيح : Satin ... ، وال Satin « نسيج حرير اطلس او املس » وتكون الترجمة : « نعال الحرير » او « النعال الحرير » او الحذاء الحرير اي المصنوع من هذا النسيج ...

ولا دخل للشيطان في الموضوع ، والشيطان يكتب هكـذا : Satan .

٩ — ص ٢٦٥ — ٢٦٦ « يقدم ... فيدرا لراسين » .

الصحيح : فيدر لانها Phèdre .

١٠ — ص ٢٧٧ — ٢٧٨ « ثلاث عروض » .

الصحيح : ثلاثة عروض .

١١ — ص ٢٩٣ « الورشة المسرحية » ، كذا يكرر « الورشة » ثلاث مرات وكأنها كلمة عربية وكان من الممكن ان يجد لها مقابلا في المختبر او المعمل او ما اشبه ذلك .

١٢ — ص ٣٢٩ « مـارون نقاش » ، ص ٣٢٨ « مارون نقاش ... اما ابن اخته سليم النقاش » واشار الى كتاب الدكتور محمد يوسف نجم « المسرحية في الادب العربي الحديث » .

والذي في كتاب الدكتور نجم — وهو الصحيح — « مارون النقاش » ، و « ابن اخيه سليم النقاش » ... سليم خليل النقاش ...

١٣ — ص ٣٢٩ « المفكر الثوري عبدالله الندبم » .

الصحيح: عبدالله النديم .

١٤ — ص ٣٤٠ « فتوح نشاطي ... هوى التمثيل صبيا » .

المناسب ان نضع نقطتين تحت الياء لتقرا هوي بمعنى احب .

(١٢)

جان ريكاردو — قضايا الرواية الحديثة ، ترجمها وعلق عليها صياح الجهيم ، دمشق ، ١٩٧٧ .

حسنا فعل المترجم اذ ثبت العنوان الاصلي مع دار النشر وتاريخ التاليف :

Problèmes du Nouveau Roman...

ولكنه ترجم كلمة nouveau بالحديثة ، وهو يعلم جيدا ان الترجمة الصحيحة للكلمة الفرنسية هي : الجديدة ، وان الحديثة ترجمة لكلمة moderne .

وليست المسألة مسألة ترجمة الفاظ فقط وانما هي مسألة مصطلحات ادبية ذات دلالة كبيرة ، فالقصة الحديثة (او الرواية الحديثة) هي رواية العصر الحديث ، ولدينا مثل مترجم عليها هو كتاب البير س. الذي ترجمه جورج سالم بعنوان « تاريخ الرواية الحديثة » (moderne) امـا الرواية الجديدة فهي حركة ادبية خاصة ظهرت في الخمسينات ... وتنكر اهلها بها المألوف الرواية الحديثة (كما هي لدى بالزاك مثلا) ودعوا الى نمط جديد ... واحدثوا ضجة . ولدينا في المترجمات مثل عليها هو كتاب الان روب جرييه الذي نقله الى العربية مصطفى ابراهيم مصطفى بعنوان « نحو رواية جديدة » nouveau ... ومثله كان المنتظر ان يترجم كتاب جان ريكاردو الذي نحن بصدده فيكون : « قضايا الرواية الجديدة » — وريكاردو من اعلام حركة الرواية الجديدة (nouveau) ، وهـو روائي ، ناقد ، مـن ابرز محرري مجلة «Tel Quel» التي تتبنى التجديد وتقوده وتثير مشكلاته — ولد سنة ١٩٣٢ .

(١٣)

٤ كتب و ٤ كتاب — محمد بدر الدين خليل ، القاهرة ، دار المعارف ، اقرأ ٢٩٨ ، اكتوبر ١٩٦٧ .

١ — ص ٥ « ان للادب الكلاسيكي تأثيرا لا يهن على النفوس » .

الصحيح : لا يهون .

٢ — ص ٧ ، ١٠٣ « ميريميه » .

الصحيح : مريمه لانه Merimée ولا موجب للياء الاخيرة وكأنه ينتهي بـ ier .

٣ — الكتاب هو كارمن ، وتجري احداث القصة في اسبانيا (الاندلس) ، ويرد لدى المترجم ص ١٠٩ ، ١١٣ ، اسم نهـر « الجواد الكبير » نهر قرطبة ولـو ترجمه « الوادي الكبير » كان مصيبا .

٤ — ص ١١١ «وكان النسيم يحمل . . . شذى . . .» .

الصحيح : شذا .

٥ — ص ١١٢ « وفيما هو يجلس اليها . . . » .

الصحيح : وبينما هو . . .

٦ — ص ١١٣ « وتناولت برتقالة فنضدت عنهـا قشرتها ، وشرعت في اكلها » .

صحيح نضدت : نضت (اذا كان لا بد من استعمال كلمة بهذه الحروف) .

٧ — ص ١١٩ « ولما تدق عنقك » .

اختار المترجم التأنيث ، والتذكير هو الاغلب علـى العنق .

٨ — ص ١١٩ « فاهرع » .

اخذ الامر من الرباعي المبني للمعلوم وهو غـير موجود .

والصحيح : ان الماضي ثلاثي مبني لما لم يسم فاعله : هرع (بضم الهاء وكسر الراء) .

٩ — ص ٨٦ — ٨٧ « غادة الكاميليا . . . قصة . . . لم تلبث ان اقتبست للمسرح . . . » .

في هذا الكلام وبناء الفعل للمجهول ما يمكن ان يحول دون معرفة القارىء بـأن الذي حول القصة (المؤلفة سنة ١٨٤٨) الى مسرحية (سنة ١٨٥٢) هو المؤلف نفسـه : الكسندر دوما الابن .

(١٤)

جان ستاروبنسكي — النقد والادب ، ترجمـة الدكتور بدر الدين القاسم ، مراجعة انطون مقدسي ، دمشـق ، وزارة الثقافة ، ١٩٧٦ .

١ — احسن المترجم اذ احتفظ للقارىء باسم الكتاب في لغته الاصلية (الفرنسية) وهو : La Relation Critique ويدل العنوان الاصلي على ان المترجم قد تصرف فيه لدى الترجمة ، لان الترجمة الدقيقة للعنوان هي : « العلاقة النقدية » ، على حين جعلها المترجم العربي : النقد والادب . والفرق واضح ، ولو كان المؤلف يقصد الى هذه الدلالة لـمـا منعـه مانع مـن ان يثبتها في العنوان ولقال : La Critique et la Littérature ولكن الامر مختلف ، وليس عنوان المؤلف مما يستدعي التصرف لدى الترجمة .

هذا الى اننا عندما نتصرف بترجمة العنوان — لسبب موجب — نبحث في مادة الكتاب نستعين بها على هـذا التصرف . واننا اذا رجعنا الى الكتاب الذي بين ايدينا لما راينا ما يسوغ ترجمة عنوانه بـ « النقد والادب » فضلا عن ان اي كلام في النقد هو كلام في علاقته بالادب .

ان مادة الكتاب تقوم في اساسها على علاقة النقد الادبي بعلوم ومعارف اخرى في مدى ما يمكن ان يستغني عنها ويقف ازاء النص الادبي يستنطقه ويقول رايه فيه ، ومدى حاجته اليها ليعتمد عليها مرة اعتمادا كليا وليستعين بها مرة بقدر معقول يساعده على الفهم والحكم والتحليل . . .

وغلب دوران الكتاب على ميدان النفس او علم النفس او علم النفس التحليلي من هذه الميادين . . . حتى اننا لو تصرفنا بالعنوان قليلا لقلنا : علاقة النقد بعلم النفس . . . وليس بنا حاجة الى هذا التصرف لان البحث قد يمتد الى البيئة والمجتمع والتاريخ . . . ومن هنا حسن — ان لم نقل وجب — البقاء عند الترجمة الدقيقة للعنوان وهي : العلاقة النقدية .

٢ — توزع المطبعة الهمزات كيفما اتفق ، وبسخاء ، فما اكثر الوصل الذي صار فصلا . . . وكذلك تضع النقاط تحت الياء التي تتكىء عليها الهمزة .

٣ — ورد ص ٧ « نحن نفك رموز الماضي بحيث نجعل هذا الماضي يقضي ضرورة الى مستقبل . . . » .

ربما كانت « يقضي » هذه خطأ مطبعيا صحيحه : يفضي .

٤ — وردت ص ١١ « بدهي » ، وصحيحها «بديهي» من البديهية .

٥ — ص ١٧ « مصاغة » ، صحيحها : مصوغة — من صاغ الثلاثي .

٦ — ص ٢٦ « المهمة التي انيطت » ، الصحيح : نيطت من ناط الثلاثي .

٧ — ص ٢٧ « كلما تزود الناقد بالثقافة الصحيحة . كلما امكنه التعرف الى التحولات الطارئة عبر العصور . . . »

الصحيح : « كلمـا تزود . . . ، امكنـه تعرف التحولات . . . » .

٨ — ص ٤٠ « بوصفـه يهوديا نمساويا تـزود بالدراسات الانسانية القديمة » .

الصحيح : « . . . تزود الدراسات . . . » وتنظر ص ٢٠ .

٩ — ص ٢٤٥ « المفكر رونان Renan » لم يعد

اصداء الذكريات

لا تطل وقفة .. فقد كان حلما رائعا ، وانقضى ، وأصبح وهما
قد تلفت .. لم أجد غير بقيا ذكريات قد أورثتني هما
ههنا .. كان لي لقاء حبيب فيه برئي متى تشكيت سقما
وهنا .. صوتها يرن بسمعي سمط در تلقيه نثرا ونظما
وهنا .. بدلت حياتي .. فألفيت بها للحياة لونا ، وطعما
قد سقتني غرامها العذب شهدا بعد أن كنت أجرع اليأس سما
فأحاديثها أديرت كؤوسا عذبة .. قد رويت فيها .. ولما
أنا .. ما ان رويت منها بكأس من رحيق الهوى. ففي الحال أظما
كنت .. واليأس يملك القلب مني فاذا بي أزيد عزما وحزما
واذا بي أثرى بحب كبير كان يشكو من قبله القلب عدما
ولد الحب رائعا وجميلا بعد يأس . حسبته كان عقما
يا لحسن لها رقيق وضخم هل رأيتم حسنا رقيقا وضخما
يا لحسن أعيا بياني وصفا فهو أسنى من البيان وأسمى
لوحة ابدعت يد السحر فيها فأجادت فنا وشكلا ورسما
رقة الروح في نضارة جسم يا لسحر الجمال روحا وجسما
لا تلوموه .. ان تتيم حبا بهواها .. هل يعرف الحب لوما
احسبوه اذا تشاؤون طيشا فمتى تعرف الصبابة حلما
فهواها ان كان أدمى فؤادي فالذ الغرام ما كان أدمى
أنا نار .. فأين مني هي الآن .. ؟ لأشعلتها عناقا وضما
ما لهذا الزمان يمشي على غير هوى العاشقين .. حقدا ولؤما
ما التقى في الهوى حبيبان الا وتراه انبرى عدوا وخصما
لست أدري ماذا ؟ هل ارتكب العشاق في حبهم مع الدهر جرما
أو ما يبصر النجوم التي تزهو ... فتبدو نجما يغازل نجما
وزهور الرياض بعض لبعض تتشكى حبا وتنفث هما
وطيور الحقول تهتف للحب .. وتشدو .. يا بورك الحب اسما
انما الحب سنة الله في الكون .. فويل .. لمن يرى الحب اثما

بغداد ـ ص.ب ٢٢٠٣٨ محمد جواد الغبان

مناسبا ان نقول بالعربية رونان بعد ان شاع الاسم وذاع بـ « رينان » .

(١٥)

النقد الفني ـ تأليف اندريه ريشار ، ترجمة صياح الجهيم ، دمشق ١٩٧٩ .

سبق ان ترجم الكتاب نفسه للمؤلف نفسه هنري زغيب ، بيروت ١٩٧٤ . وحسنا فعل المترجمان اذ ذكرا العنوان الاصلي ومؤلفه ودار نشره باللغة التي صدر فيها (الفرنسية) ، وكان يمكن ان يتما الاحسان لو ذكرا تاريخ التأليف .

عنوان الكتاب la Critique d'Art ترجمه زغيب بـ « النقد الجمالي » ، وترجمه الجهيم بـ « النقد الفني » والنقد الفني هو الصحيح .

وبين الترجمتين فروق اخرى ، وبينهما والاصل الفرنسي فروق اخرى كذلك ، وكان من المناسب ان يكتب المترجم اللاحق مقدمة ـ ولو قصيرة ـ يقف بها عند الترجمة السابقة ويذكر مسوغات اعادة الترجمة ...

جامعة بغداد ـ كلية الآداب علي جواد الطاهر

جورج صيدح وامارة الشعر

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

عندما وافيت جورج صيدح نسخة هدية من كتابي « كلمات في الرصافي » في منتصف الستينات ، ما لبث ان هنأني بصدوره ، في الوقت الذي المع الى ما فيه من جوانب الاصالة والفحالة ، ونقاط القوة والضعف ، منتهيا الى تقييمه علميا في ضوء ما استبان له ، وتحقق لديه .

كذلك عقب على موضوع « الرصافي والامارة الشعرية » بقوله : « بقي حديث الخرافة في امارة الشعر . انما استميح لنفسي بمخالفتك في تقدير شاعرية شوقي حين تقارنه بمعاصريه من الشعراء . انه عندي اشعرهم خلقة ، واكثرهم شاعرية . منهم من يفضله بالصفات الشخصية ، ولكنه يبرز عليهم بالموهبة الشعرية . هذا رايي الخاص استمده من ذوقي الخاص . ولا جدال في الاذواق لكل جمهور من الشعوب ، شاعره الاثير الذي يتجاوب معه وقد لا يتجاوب مع من هو اعظم منه . هذا سبب الحوار العقيم حول امارة الشعر » .. ثم يستطرد : « وعد بها شوقي امين نخله ، وخلعها طـه حسين على العقاد ، ونادوا بعمر ابو ريشة اميرا فترة من الزمن .. واليوم اقرا عنوانا في جريدة « الجمهورية » القاهرية « احمد رامي من افضل شعراء العالم » .. سخافات لا يجوز ان نقف عندها .. » .

اخلص من ما سلف ان جورج صيدح كداعية للفكر الحر والشعر الاصيل ، يستسخف امارة الشعر وان شئت فقل يستهجنها اساسا ، ناعيا على مثيريها جدالهم المستديم وسجالهم الملل ، لانهما كانا وما ينفكان يفضيان بهم الى طريق مسدود .

فليس في الشعر امير ومأمور ، ولا رئيس ومرؤوس . ولن يكون كذلك على وجه القطع .. انما كانت امارة شوقي سياسية اكثر منها ادبية فنية ، اوجدتها الظروف يومذاك لمقاصد معينة غير خافية على الراسخين في العلم ، والواقفين على بواطن الامور .. ثم اندثرت حتى طواها الزمان ، ساحبا عليها ذيول الاهمال والاغفال .

ذلك اجمالا موقف جورج صيدح من امارة الشعر . وليس فيه مـا يستوجب الاستزادة والاحاطة بـه اكثر واكثر .

لكن ما الذي حصل في ما بعد ؟

هذا ما ارى ان ابسط القول فيه بعض الشيء .

نشرت صحيفة « المصري » الصادرة باللغة العربية بولاية لوس انجلوس بأميركا ، في مطالع عام ١٩٧٥ ، لصاحبها ومحررها فؤاد القصاص ، ما نصه : « .. قال لي احد اصدقاء « المصري » ممن قراوا شعر جورج صيدح عبر صفحات المصري :

— انا لم أقرأ قبل « المصري » لهذا الشاعر . وان كنت قد سمعت باسمه . الحقيقة انه شاعر اكثر من عظيم .

كنت لحظتها افكر في الدعوة لمهرجان شعري ننصب فيه جورج صيدح اميرا للشعراء ونعيد بذلك العصر الذهبي للشعر العربي . ونرد الى هذا الشاعر العظيم في كلمة وفاء بعض الفيض الذي اسعدنا به طوال نصف قرن .

قلت للقارىء الصديق : ما رايك لو اقمنا مهرجانا للشعر والشعراء ، دعونا اليه شعراء العربية من كل مكان ، ليحتفلوا معنا بتكريم جورج صيدح ؟

هتف الصديق : فكرة رائعة .

والمصري اذ يدعـو لاقامة هذا المهرجان في لوس انجلوس في شهر يوليو او اغسطس من هذا العام ١٩٧٥ فانما يعلنهم الدعوة مفتوحة لجميع الشعراء العرب من كل المذاهب والاتجاهات . اما اختيار الموعد بالتحديد فهو متروك لشاعرنا العظيم : « صيدح » .. » .

بمجرد ان تلا جورج صيدح هاته السطور ، وهو في مغتربه النائي ، حتى علق عليها ساخرا : « حديث خرافة يا أم عمرو .. بل يا ابا « المصري » !!

غير ان قارئا من قراء « المصري » ، طالما استجاد شعر جورج صيدح ، وتغنى به ، وتطلع اليه ، مدركا مكانة صاحبه بين معاصريه من الشعراء ، انبرى يرد قائلا : « ان ما يدفعنا الى نشر هذه الكلمة ما طالعناه في هذه الجريدة — يعني « المصري » من ذكر للشاعر جورج صيدح وقول لصاحبها ان احد اصدقائه قال له انه لم يسمع بهذا الشاعر قبـل ان تنشر لـه « المصري » بعض نفحاته الشعرية .. فهل هذا معقول ؟! وهل يوجد في المهجر العربي واحد لم يسمع بالشاعر الكبير : جورج صيدح ؟؟ ثم يمضي الكاتب في تعظيم الشاعر صيدح الى حد يدعو فيه الى تنصيبه اميرا للشعراء ويقترح اقامة مهرجان شعري لتكريمه في لوس انجلوس بالذات هكذا دفعة واحدة . ومع علمنا بحسن نية الداعي الـى اقامة مثل هذا المهرجان وباستحقاق صيدح لكل تكريم وتقدير ، الا ان الفكرة بحد ذاتها تبدو غير معقولة وغير ممكنة . لا سيما وان لوس انجلوس ليست عاصمة عربية او المكان المناسب حيث يجب ان يكرم احد كبار الشعراء العرب . والمغتربون العرب فيها حسب اعتقادنا في شغل شاغل عـن الشعر والشعراء ، واخيرا لعلمنا مـا يتصف به الشاعر الكبير صيدح من تواضع ورغبة في البعد عن الاضواء . ويكفيه

فخرا انه الوحيد الذي ارخ الادب والشعر المهجري بصدق **وشمول وان كتابه هذا اعيد طبعه عدة مرات كما ان ديوانه الذي يصدر على دفعات سوف يكون مادة للتدريس في المعاهد العليا والجامعة بوصفه احد اعمدة الشعر المهجري الذي قلما يجود الزمان بمثلهم .. » .**

ومن عجائب المصادفات ان تصل الى جورج صيدح ، في الوقت ذاته ، دعوة اخرى مماثلة من ندوة « الادب العربي » ببوانس آيرس ، لاقامة مهرجان ادبي في ايلول ١٩٧٥ بغية تكريمه ، لكونه مؤسس « الرابطة الادبية » بالارجنتين ، ونصير الشعراء والمثقفين في المهجر .

اذا كان في دعوة « المصري » شيء من الاغراق والقصد كما بدا ، فان اقدام « ندوة الادب العربي » على تنفيذ ما ازمعت الاضطلاع به يشفعه حسن النية وواقعية الفكرة .

هنا ساورتني تساؤلات ملحة ..

ما خبر هاتين الدعوتين ؟ ما وراءهما ؟ ما مدى ردود افعالهما في الشعراء والادباء عامة ، وفي جورج صيدح خاصة ..

على ان جورج صيدح ، سرعان ما طالعني بتصريحه الذي وضع فيه النقاط على الحروف ، قاطعا السبيل على كل ما هنالك : « المهرجان الشعري في لوس انجلوس لتكريم صيدح حديث خرافة لا يستحق الاهتمام . بداهة رفضته واستنكرته لانه يبالغ في محاباتي حين يدعو الى مبايعتي بامارة الشعر المعاصر . قلت للاخ الفاضل — يعني صاحب « المصري » — ان من مدحك بما ليس فيك فقد ذمك . لذا اعتبر الدعوة اساءة الي يجب اهمالها ونسيانها » .

ثم قال مستطردا ومتابعا : « **ومن غرائب المصادفات ان تصلني دعوة مشابهة من ندوة الادب العربي في بوانس آيرس ، تدعو لمهرجان يقام في ايلول القادم لتكريم مؤسس « الرابطة الادبية » ونصير الادباء الاول في المهاجر الاميركية .. يعني انها اقل غلوا من الدعوة الاولى .. كان جوابي مهذبا وشكرا صادقا واعتذارا وجيها بعتو سني وكلال ذهني . انني اتردد بالنزول من داري الى الشارع حذر الانزعاج فكيف اقدم على سفر طائر الى اقصى المعمور** » .

مع هذا كله فان الدعوة التي اذاعها فؤاد القصاص عبر صحيفته وروج لها بامكاناته المحدودة ، لم تكن في الحجم الذي يمكن ان يجسدها واقعا وحقيقة ، لافتقارها الى قاعدة عريضة مؤزرة بالظروف الموضوعية والوسائل الاعلامية والجهود المادية والمعنوية ، كيما تستوي على قدميها وتثبت وجودها توصلا لهدفها المراد لها ، هو تكريم شاعر مرموق ، وقف ادبه ونشبه .. لسانه وجنانه على قضايا امته العربية الناهضة .. الطامحة ، ولا سيما قضية فلسطين المركزية ..

مهما يكن فان هذه الدعوة وان لم تلق رعاية وتشجيعا من لدن المؤسسات الصحفية والاتحادات الادبية ، وان لم تحظ باستجابة وحماسة من شعراء الوطن العربي والمهاجر ، فانها ، في الاقل ، شحذت القرائح هنا وهناك ، واستدرجت الآخرين بطريقة غير مباشرة للاسترسال في تمجيد شخصية جورج صيدح المتميزة ، وتقييم شعره الاصيل توطئة لمبايعته واسباغ لقب الامارة عليه .

كان اول من انطلقته الدعوة هو الدكتور صفاء خلوصي المقيم بأكسفورد — رد الله غربته — هذا الذي ارتفع صوته من بعيد ، مبايعا جورج صيدح بامارة الشعر ، وموغلا في **مديحه بقصيدة لطيفة ادهشته ، واخجلت تواضعه :**

بايعت « صيدح » للقريض اميرا   فاق «الفرزدق» في العلى و«جريرا»
قدمت تاج النابغين لهامه   ورفعت عرش المالكين سريرا
توجته بعواطفي ووهبته   كرسي شعر الغابرين وثيرا
وأهاب « شوقي » في السماء مباركا   تتويجه خلفا له .. وأميرا
فالصولجان ل «صيدح» من «احمد»   اضفى على هام المتوج نورا
سحر الانام بشعره وبيانه   ففدوت بين المعجبين اسيرا
وتجمعت فيه المكارم كلها   لا زال كيد الكائدين حسيرا
غار البيان ضفرته وأزفه   عبر « الخليج » الى الامير بشيرا
لو استطيع نثرت كل مشاعري   آسا له في دربه وزهورا
« باريس » يا مهد العباقر رددي   آيات فخري في علاه سرورا

لئن عقب جورج صيدح على قصيدة الدكتور صفاء خلوصي بعبارة نثرية مكثفة : « كيف ينخدع هذا العالم الخبير بصيدح الصغير » فانما اجاب عنها **شعرا ، مباريا اياها ، معربا عن ما كان يلهب خياله الشارد ، ويتخلل واقعه المرير .. اسمعه وهو يطعم نفحاته ، بالآيات البينات :**

جازاك ربي « جنة وحريرا »   يا من حباني « نضرة وسرورا »
سبحان من سواك مطبوعا (على خلق عظيم) واصطفاك بشيرا
لست الجدير برتبة بين الألى   سميتهم ان كنت انت جديرا
يابى ابائي ان يطارد شهرة   ممقوتة تستعقب المشهورا
اردت تسحرني وتبلو شيمتي   حين اصطنعت من الاجير اميرا
شعري الحسير مدحته ففضحته   فازداد في عين الثقات حسورا
واشتد غيظ الناقمين وهزؤهم   حتى غدا العبد الشكور كفورا
نزهت عن تيه الغرور شبيبتي   الصير في شيخوختي مغرورا
انصفتني يا صاح لو صنفتني   لا شاعرا فذا ولا شعرورا
اني شهاب كاد يهوي داجيا   لما استعار سناك عاد منيرا
لولا الشعور خلال شعري نابض   ما كان نظمي (لؤلؤا منثورا)

على ان البيعة التي اعلنها الدكتور صفاء خلوصي مؤيدا بها دعوة « المصري » ومعززا اقدام « ندوة الادب العربي » لعقد اكاليل الولاء الشعري والاجتماعي لجورج صيدح اهابت بغيرة من الشعراء والادباء ، من امثال عبد المجيد لطفي ، لان يطالب هو الآخر باعلان مثل هذه

البيعة . حيث ساق قصيدة الى « امير القوافي » فقال :

بايعت « صيدح » للقصيد أميرا	مـن لا يبايـع شاعرا تحريرا
او من يغض الطرف حين بدا له	نجما اطل على القريض منيرا
تمضي السنون وشعر صيدح صادح	عبـر العصور الآتيات عصورا
شعـر تدفق ساكبا أنغامه ..	كالعارض الوسمي فاض غزيرا
ارنـو اليـه ولا ابل ظماءتي	منه ــ اهاب اللؤلؤ المنثورا ــ
صوت الدعاة تجاوبت اصداؤه	لامـارة حامـت عليـه كثيـرا
حتى اذا ما الحق حصحص ادركوا	مـن كان باللقب العظيم جديرا
لمـا انتـك ترددوا وتنهـدوا	لكنهـا وصلـت اليـك اخيـرا
لله صيدح ! كـم تمر عجاجة	ويظـل صرحك شامخا منظورا
عف ضميرك مـا مدحت لمغنـم	جـم اباؤك ، ما خشيت كبيرا

تلك ابيات انتشى بقراءتها جورج صيدح بهدوء معهود منه ، بيد انه انفعل بها متأثرا ، تخنقه عبرات الفرحة والعزة ، ثم فزع الى شيطان الشعر ، حتى استنفد ما عالجه مستبدا به .

لكنه في قصيدته الجوابية « تحية القصيد الى الشاعر المجيد عبد المجيد » لا يدري ان كان « يلعب دور النسور ام دور العصفور » !

مجدت يـا عبد المجيد غريرا	وجعلتـه في مستـواك كبيـرا
هـذا الذي امرته لـو زرته	لرايت في ثـوب الامـير اجيرا
ان الامـير زمانـه في صحبتي	هـو اول عندي وليس اخيرا

سعر بيع مجلة الاديب :

العراق	٢٠٠ فلس
الكويت	٤٠٠ فلس
ابو ظبي	٥ دراهم
دبـي	٥ دراهم
قطـر	٥ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
الاردن	٢٠٠ فلس
السعودية	٥ ريالات
اليمـن	٥ ريالات
عـدن	٥٠٠ فلس
مصـر	٣٠٠ مليم
ليبيـا	٤٠٠ درهم
تونس	٤٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم

وصلت قوافيـه حبـال مودتي	فغدا اثيرا مـن اردت عشيرا
يـا شاعري رفقا بشيخ مدنف	يجني عليـه مـن دعاه اميرا
أضحى رهين المحبسين يود لو	بالاصغرين سعى اليـك شكورا
زكيت رأي « صفاء » حين مدحتني	وقـدرت في الشاعـر النحريرا
انت اقتديت بـه ورحت نظيره	تضع الشهير وترفـع المغمورا
سيان فضلكما متى فاض الندى	سيلا علـي او استمر غديرا

ذلك ما توخاه جورج صيدح .. ثم بعد استطراد :

نفسي تحدثنـي بأنـي ابتـدي	نسرا .. وأني انتهي عصفورا
دعني مـن الالقاب الا واحدا	ان نلتـه يومـا رقصت حبورا
هو ان اكون اخا « صفاء » مجليا	وعديل « لطفي » ساحرا مسحورا
أهدي الى صحب العراق تحيتي	شعرا فياتيني الجواب شعورا

ما دمنا قد عرفنا من البداية ، ان جورج صيدح قد سخر من مبايعة شوقي او غيره بالامارة الشعرية ، حتى عدها خرافة من خرافات العصر ، كان من السهل علينا ان نعي مغزى بغضه لهذه البيعة ورفضه اياها ، حتى ولو كانت له .

ثم ان جورج صيدح لم يتردد في ان يركز على القصد الذي انطوت عليه هذه الدعوة الى مناداته اميرا للشعر المعاصر ، وهو يكشف عن تصوره الواقعي لما جرى .. اذ أفضى : « المفهوم من هذا المشروع الرغبة في تطييب خاطري المجروح بمعاملة القروي وفرحات . فهو مؤاساة اكثر منه تكريم . والعجيب هو توارد الخواطر بين شمال امركا وجنوبها ، هـذا التوارد ذكرني بقصيدة تلتها في الارجنتين اثر عودتي من زيارة الوطن حاملا ثلاثة اوسمة من ثلاث حكومات :

الله يـا دنيا ! أمـن بعدمـا	حطمت (...) جئتني (...)
اقبلـت لمـا ادبـرت همتـي	ودب في سمعي نفيـر انهـزام
دقت طبول المجد حولي فمـا	اصغيـت الا لهديـل الحمـام

الى جانب ذلك ، نشرت مجلة « السياحة » اللبنانية لصاحبها اديب مروة ، حديثا قصيرا بشأن دعوة صحيفة « المصري » الى تنصيب جورج صيدح اميرا للشعراء العرب المعاصرين ، فتساءلت فيه : « كده مرة واحدة !! » .

فما كان من صحيفة « المصري » الا ان تعقب على ذلك ، بشيء من الحدة ذاكرة : « **انت حيرتنا بين تمجيدك لجورج صيدح واستنكارك لترشيحنا له ..** » .

وفي عدد آخر تال ، عادت صحيفة « المصري » فتخلت عن ما طرحته من فكرة ، وساقته من دعوة . وقالت : « وفيما يتعلق بالمهرجان الشعري فقد اوقفنا الدعوة اليه نظرا لظروف جورج صيدح الصحية .. » .

هكـذا ...

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا	حديث ولـم يسمر بمكة سامر

بغداد **وحيد الدين بهاء الدين**

انت قديم وهادىء ونحن احتمال

انا نقترب
فاحذروا أن يرانا ،
فيعرف أنا أتينا اليه بغير زهور
ويعرف أن اخضرار الحقول
تمدد ما بيننا ــ في الظهيرة ــ سيفا من الوهم
يعرف أنا اختبأنا بجلد السكوت
ولم نبرح الدار للغيط منذ تحدر فينا
شحوب النعاس .

كان في عنفوان الصبا يتمطى
فتخلع عن رأسها طرحة الصمت
هذي السماء ،
وكان اذا ما اعتراه الضياء .. يغني
فتنصت كل البلاد
وتقبل من نوحها ، تفرك اعينها من نعاس
وتنصـــت
تفرح كل غصون الشجر
ترتدي لونها وتجيء .
كان اذا ما اعتراه الغناء استضاء
فتأتي اليه طيور المعارف من كل صوب
وتحضر ألوان أصواتها
لتكون (جوقة) هذا الغناء .

انه يتمدد ما بين زهر البلاد
وبين دمانا
يراقبنا حينما نتقاسم كسرة شمس
فينظر من نومه المتطاول
يضحـــك
ينظر في دهشة للخليج
ويرفع كم الرداء ويبسطه
لنحط عليه زهورا من السنة الآتيه
أو ليبسط كفا تسير عليها مياه الفرات
وتدخل حقل الجفاف الذي يتشقق
في خرطة الحلم .
يضحـــك ،
تدخل هذي المياه قناة
وتفرح حين تجيء الى النيل
تأخذه وتسير الهوينى الى بلد
من بلاد المحيط

فيضحـــك
تأتي المياه
تصير اشتياقا .. تصير احتمالا
تصير انتظارا .. تصير حقيقه
انه ينظر الآن هذا الظلام الذي يتمنطق بالموت
يمشي ، فتهتز ــ في كوخها ــ شمعة الليل
ترسم فوق الجدار ظلاله
فنقبع في حضن صمت
ونربت فوق أخينا الصغير
فلا ينفلت منه طير البكاء .

اننا واقفون أمام سريره .. كمن يتعبد
كمن مسه الحب ، والموت
انا وقوف أمام احتفال المشيب
فيا أيها الشيخ هل ستظل تمد يديك
فنأتي ، وندخل في دفء روحك
هل ستظل انتهاء .. وبدءا ... ؟!
وهل نحن نبقى احتمالا .. ؟!

ان وجهك يبدو مليئا بهذي الخطوط
التي قسمته
فيا للزمان الذي يقذف الموت بين
شعاب البلاد
ان وجهك يبدو كحقل من القمح
تلعب فيه الحرائق
أنت قديم وهادىء
ونحن احتمال
وانت بجيبك كل الحقائق .

أيها الشيخ قــم
ان هابيل ما زال فينا
وما زال فينا الخروج
وما زال فينا التشعب
انا لبسنا الدماء علامة وجد
وقفنا ببابك نعلن
أنت المفدى .. ونحن الفداء .

القاهرة مفرح كريم

احمد مصطفى حافظ في ديوان ما ابقت الايام

بقلم الدكتور مختار الوكيل

* * *

اعرف هذا الشاعر منذ اكثر من عشرة اعوام . فهو الذي جمع وحقق ديوان الشاعر الكبير محمد فضل اسماعيل ، وكان لي شرف تقديم هذا الديوان ، عندما عرض على لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب ، ثم علمت انه تولى جمع وتحقيق ديوان الشاعر الجهير عبد اللطيف النشار(١) ، الذي ظهر في مجلدين كبيرين ، اولهما اصدرته كريمته السيدة رفيقة النشار على نفقتها الخاصة ، والثاني تولت الهيئة المصرية العامة للكتاب اصداره .

وهكذا يتجلى لنا وفاء الشاعر لاستاذيه الراحلين ، ولو ان الشعراء الادباء تحلوا بصفة الوفاء هذه ، لكانت دنيا الادب غير ما هي عليه اليوم .

ولقد شاهدت بنفسي كيف كان الاستاذ احمد مصطفى حافظ يتحرك في كل مجال ، في نشاط وهمة ، لكي يذلل العقبات التي تعترض التعجيل بنشر ديوان الشاعر فضل اسماعيل ، ومن ثم فاني اعزو اليه الفضل البارز الباقي في نشر شعر هذا الشاعر الكبير .

واخلص الى الشاعر احمد مصطفى حافظ ، فأقول انه تأثر بأستاذيه الاثيرين لديه ، القريبين من روحه ، وذلك بلا ريب امر محمود ، وهو متوقع ومنتظر من الرجل الذي قام بدراسة وافية لشعر هذين الشاعرين ، فأنت لا تستطيع ان تنهض بجمع شعر شاعر من الشعراء الكبار ، وتصاحب هذا الشاعر وترافقه وتزامل شعره بدون ان تتأثر به على نحو من الانحاء .

ومن حسن حظ شاعرنا احمد مصطفى حافظ انه صحب شعر هذين الشاعرين ، وهو شعر ذو مستوى رفيع ، وقد نوهت بنتاج احدهما ، وهو الاستاذ الكبير محمد فضل اسماعيل ، عندما تشرفت بكتابة مقدمة ديوانه .

اما الشاعر الآخر ، وهو الاستاذ النابه عبد اللطيف النشار ، فهو من الرعيل الاول الذي نشأنا على الاستمتاع بشعره الحي الموسيقي ، ثم هو من اولئك الشعراء الرواد ، الذين عكفوا على نقل الشعر الاوروبي ، ولا سيما الشعر الفرنسي الى اللغة العربية ، منذ اوائل هذا القرن الميلادي . وقد نشأنا ونحن نصافح بأعيننا في الصحف والمجلات البارزة في ذلك العهد ، تلك الترجمات الرائعة لشعر ديموسيه ولامرتين وهيجو ، وغيرهم من امراء الشعر الرومانسي في فرنسا . وكان من صنع ذلك الشاعر الصناع البارع المفتن : عبد اللطيف النشار .

ولا شك انه بصنعه هذا قد سجل اسمه في قائمة الرواد ، الذين افادوا اللغة العربية والناطقين بها ، بما في بطون اللغات الاخرى ، من روائع آيات الشعر . وهكذا اتضحت امامي الرؤية الكاملة لشعر احمد مصطفى حافظ .

فهو شاعر مجيد ، ينظم الشعر اللماح الجيد الديباجة ، الرصين اللفظ ، المحافظ على الجرس الموسيقي العربي المأنوس الرقيق ، وهو — الى ذلك — شاعر مفتوح على العالم الخارجي ، ولقد سرني ان اقرا في القسم الثاني من ديوانه المخطوط(٢) (ما ابقت الايام) ، وهو القسم الذي اطلق عليه اسم (المنقول) — باقة من الترجمات اللطيفة الرقيقة ، لكثير من مشاهير الشعراء في مختلف بقاع العالم ، فهو ينقل من الانجليزية ، عن شعراء من ايطاليا وفرنسا وايران وانجلترا وامريكا ، ويوغوسلافيا وروسيا .. ويكفي ان اذكر بعض اسماء اولئك الشعراء ، لكي يقف القارىء على اهمية هذا القسم من الديوان ، فهو يطالع لـ (تيوفيل جوتيه) و (هيجو) و (شكسبير) و (بايرون) و (هنريك هايني) و (لونجفلو) و (ماياكوفسكي) و (تاجور) وسواهم .

وتتسم هذه الاشعار المنقولة بالوضوح والجمال ، واللفتات الفنية البارعة ، ومن هذا القبيل ما ورد في ختام (الحبيب السالي) ، التي نقلها عن الشعر الفارسي ، للشاعر منوجهري الدامغاني :

يا من سلوت وصار امر ممكنا ان تبدلي حبا بحب .. بعدنا
قولي بصدق — بعد نقض عهودنا — لم تكثرين من المرور بحينا ؟!

وهي لفتة عاطفية وعتاب قلبي رقيق !

والحق ان القارىء للقسم الثاني من الديوان — قسم المنقول — سيخرج بذخيرة طيبة من عواطف الشعراء في مختلف ربوع العالم .

ولا شك ان الشاعر قد تفرد بين شعراء العصر عندنا ، بنقل هذه المقطوعات الرقيقة ، وتلك شجاعة محمودة من الشاعر ، في زمن اصبح من اليسير ان يسطو الشعراء على المعاني والافكار ، ليس فقط في الشعر الاجنبي ، وانما في الشعر الوطني والقومي على حد سواء !

ونحن اذا كنا نرجو للشعر نهضة حقيقية عندنا ، فلا مفر من الاطلاع على ما قاله ويقوله الآخرون ، ولذلك

---

(١) — انظر عدد سبتمبر سنة ١٩٧٢ من « الاديب » الاغر ، وبه دراسة مستفيضة ممتازة عن النشار للراحل العزيز الاستاذ نقولا يوسف .

(٢) — لم يطبع بعد ، وليته يعثر على الجهة التي تتولى اخراجه الى حيز الوجود ، في طبعة بيروتية انيقة .

الى سمراء

سمراء ، يا رعشة مرت على وتري ... مثل النسيم ، فجن اللحن والوتر
ولـم تكـد شهقة الآمال تزفرها ... حتى تلاشى الدجى واستيقظ السحر
وغمغمت نجمة حيرى ، تسائلني ... مـن أي فجر ترى الانغام تنهمر
بالضوء ، بالعشب ، بالآمال ضاحكة ... بالعيد يأتـي ، وبالاحزان تنتحر

سمراء ، يا صيف أيامي وضحكتها ... يـا غيمـة العطر بالانداء تنهمر
يا غنوة كالضحى عذراء ، فاتنة ، ... لا الطير غنى بها ، كلا ، ولا المطر
وصورة ، مثلما الرؤيا ، معطرة ... تندس عبـر جفوني ، ثـم تنذثر
تأتـي عيوني بصمت الحلم زائرة ... كأنما الجن يأتي العين لا البشر

سمراء ، يا بسمة كالصيف قد رحلت ... صوب الخريف فضاع الانس والثمر
واستنقع النهـر فالاطيار باكيـة ... واستوطن الليل ، فالنجمات تنذثر
شرعت قلبي وقـد أقفلته زمنـا ... وكنا لعصفورتي عينيك ، يا سمر
بعض الوفاء ، وهذا منك تكرمة ، ... ان تغلقيه فـلا يغتالـه الضجر
فالريح في أفـق الاحزان بـاردة ... والليل ، لو جن ، لا يبقي ولا يذر
ولنفترق دونما دمـع ولا لهـب ... يذكـي الدموع وتذكيـه فيستعر

بصرى ــ الشام ... ابراهيم عباس ياسين

سعدت سعادة كبيرة بهذا الجزء من ديوان الشاعر احمد مصطفى حافظ .

فاذا عدت الى القسم الاول ــ (المقول) ــ كما دعاه الشاعر الوجداني الرقيق ، وجدتـه في قصيـدة (مصر تتحدث الى السادات) مفعما بالعواطف الوطنية والقومية الصادقة ، اما قصيدته (ذكرى صديق) فهي تتحدث عن استاذه الكريم محمد فضل اسماعيل : عـن ذكرياته معه في الثغر الشرقي (السويس) ــ والواقع انها كسائر شعره الطلي ، تتسم بالصدق والاخلاص .

وللشاعر قصيدة رائعة هي : (خواطر يثيرها الربيع) وهي من أرق والطف ما طالعت في استقبال هذا الفصل الجميل ، وفي تصويـر امتزاج المشاعر البشرية بصور الطبيعة وآثارها ، وورودها وزهورها ، وفلها وبنفسجها ، فتلوح لنا باهرة ناصعة الجمال ، او كما قال :

في لوحـة نشوانة ... من صنع رب مقتدر

اما قصيدة (نفثة محتضر) فهي في تقديري اروع قصائد الديوان ، ولقد تأثرت بها شخصيا ، وهي لا ريب تجربة مؤثرة ومثيرة في وقت معا ، ولا سيما حين يقول :

يا ويلي مـن بين صرف لشريكة عمري في الوصف
فجميـع خصالـي آيـات تحصى و (تعدد) بالالـف
ويضاعف هـول السكرات عجزي ان اصرخ : لا ! كفي

وهي قصيدة صادقة التعبير ، تصور دبيب الموت وسكراته، وآلامه واهواله . ولا شك انها من خير ما ابدع الشاعر .

وعلى الجملة ، فقد استمتعت حقا بصحبة ديوان (ما ابقت الايام) .. ــ مخطوطا ــ بـ (مقولة) ، كما استمتعت بـ (منقولة) .

واني لأرجو ان يستمتع به جمهور القراء قريبا .

القاهرة ... مختار الوكيل



خليل مطران

صورة من الحياة.. لخليل مطران

بقلم الدكتور محمد سعد حسن فشوان
مدرس الادب والنقد بكلية اللغة العربية باسيوط

* * *

عرضنا في مقال سابق (الاديب عدد مايو ١٩٧٩) قصيدة « المرآة الناظرة » لشاعر القطرين خليل مطران ، وكانت لنا مع هذه القصيدة وقفة متأنية ، عرضنا في اثنائها ما تراءى لنا من نظرات نقدية وفنية فاحصة ، ونستعرض هنا بعض النظرات التي لم يتسن لنا عرضها هناك .

اشار مطران في مقدمة ديوانه الى الوحدة العضوية في القصيدة ، وحث على مراعاة تلك الوحدة في الشعر ، وكان قد كتب في « المجلة المصرية » يقول :

« انه لم يجد في الشعر العربي ارتباطا بين المعاني التي تتنسمنها القصيدة الواحدة ، ولا تلاحما بين اجزائها ، ولا مقاصد تقوم عليها ابنيتها ، وتوطد اركانها ، وربما اجتمع في القصيدة الواحدة من الشعر ما يجتمع في احد المتاحف من النفائس ، ولكنه بلا صلة ولا تسلسل ، وناهيك عما في الغزل العربي من الاغراض الاتباعية ، التي لا تجتمع الا لتتنافر ، وتتناكب في ذهن القارىء »(١).

واذا كنا قد رايناه يقول عن شعره في المقدمة التي صدر بها الجزء الاول من ديوانه الضخم انه شعر « يقال فيه المعنى الصحيح في اللفظ الفصيح ، ولا ينظر قائله الى جمال البيت المفرد ، ولو انكر جاره ، وشاتم اخاه .. » الى آخر ما قال فاننا نؤكد — هنا — ان النقاد منذ الجاحظ وابن المعتز أوصوا بمقارنة الابيات القريبة بعضها الى بعض ، بل ان الحاتمي يقول فيما نقل عنه ابن رشيق في « العمدة » : « فان القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض اعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر ، وباينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه ، وتعفي معالم جماله »(٢) .

وفي قول مطران — ايضا — كثير من حدة العاطفة ، ونزعة الغرور ، التي لم تكن غالبة عليه ، وكأنه لم يكن امامه وهو يقول ذلك الا شعر البديعيات مما خلف عصر الاتراك والمماليك ، فهذا الشعر وحده هو الذي كانت تحمله ضرورات الوزن والقافية على غير قصده احيانا ، اما ما سبقه من الشعر في العصور كافة ، واما ما كان بعده مما عاصر مطران من شعر البارودي وشوقي وحافظ واضرابهم فما عرف هذه الضرورات ، ولا لجأ اليها ، بل كان على مستوى لم يستطع مطران ان يصل اليه(٣) .

ثم اي جديد في هذا الحديث ، حديث البيت الذي ينكر جاره ، ويشاتم اخاه ؟ وحديث التركيب والترتيب والتوافق في القصيدة ؟ اليس هو حديث الجاحظ من اول القرن الثالث عن التلاحم والتوافق ، وعن البيت واخيه والبيت وابن عمه ؟(٤)

على ان مطران لم يسلم شعره مما رآه عيبا ومنقصة في الشعر القديم ، فقصيدة « المساء » التي تغنى بها بعض النقاد ، واعجبوا ببنائها وراوها نموذجا للقصيدة الحديثة في وحدتها وتجربتها ، التي قالها وهو عليل بمستشفى في الاسكندرية ، وصور فيها آلام الحب ، ومزج فيها تلك الآلام بمشاهد الطبيعة في البحر والصخر والجو ، والتي يبتدؤها بقوله :

داء الـم فخلت فيه شفائي   من صبوتي فتضاعفت برجائي

هذه القصيدة لم تسلم هي الاخرى من هذا العيب .

فمزجه فيها بين مشاعر الحب والمرض ومظاهر الطبيعة ، في البحر والصخر والسحاب والشمس يشفع — في راينا — للقصيدة العربية القديمة ، حين المت بالصحراء والسماء والليل وذكرى الحبيب والاطلال والمنازل وغير ذلك .

ومطران في جلسة والشاعر الاول في رحلة ، نعم هو اجاد المزج فما في ذلك شك ، ولكن الشاعر الاول ايضا لم تخل افكاره من الربط ، ولم يسمح له فيها بالانفصال ، هذا مع رعاية الفرق بين بدوي ساذج وحضري مثقف ، ذلك ما يقضي به الانصاف وما يعد الانكار له نوعا من الاسراف والتحامل(٥) .

وعلى الرغم من ذلك كله فالنفس لا تميل الى اتهام مطران — كما ذهب الى ذلك بعض النقاد — بأنه قد غمز لغة الآباء والاجداد في مقدمة ديوانه حين قال : « هذا شعر عصري ، وفخره انه عصري . . » الى آخر ما قال ، وذلك لعدة اسباب منها :

اولا : انه كان حريصا على اللغة ، ومبرزا فيها ، وقد قال في مقدمة الجزء الثاني من الديوان : « اتابع السابقين في الاحتفاظ بأصول اللغة ، وعدم التفريط فيها ، واستيحاء الفطرة الصحيحة ، واتوسع في مذاهب البيان ، مجاراة لما اقتضاه العصر ، كما فعل العرب من قبل » .

ثانيا : انه كتب قصيدة بعنوان « عتب اللغة العربية على اهلها ، وقد آثروا عليها اللغات الاخرى » وجعلها تستجير بالدكتور طه حسين(٦) ، ومنها :

انـا العربية المشهود فضلي أأغدو اليوم والمغمور فضلي
اذا مـا القوم باللغة استخفوا فضاعت . ما مصير القوم ؟ قل لي

وليس تنويعه في القافية ، ولجوؤه الـى المزدوج والمخمسات ، والى الشعر المنثور احيانا دليلا على خروجه على اللغة ، وما لها من تقاليد شريفة ، ولان الخروج على القافية والوزن اصبح مـن سمات المدرسة الحديثة في الشعر ، والامر في ظني لا يتعدى جوهر الخلاف حول قديم راسخ ، وجديد طارىء الى الغمز الذي اشار اليه غير ناقد فيما يتعلق بقول مطران السابق .

ولقد كشف مطران آفاقا جديدة من التأمل والاحساس العميق بطبائع الاشياء حتـى استحق ان يدعى الشاعر الابتداعي الاول في العربية ، جاء مطران بمذهب الحرية الفنية الصحيحة التي تحترم شخصية الشاعر ، واستقلال الفن عن الصناعة والبهرج ، والاناقة الزخرفية ، وكل ما يفرض العبودية على الفن ، ومن الفاظ وقيود اتباعية لا يحتملها الجمال المطبوع ، واصالة الفن الرفيع ، ودعم شخصية الشاعر ، وفتح باب الحياة على مصراعيه ، كما انسح له آفاق الخيال ، وابرز له كل شيء في هذا الوجود ، صغيرا كان ام كبيرا ، كموضوع شعري خليق بعنايته ، واهل للتناول الفني ، اذا مـا استطاع الشاعر ان يتجاوب معه ، ويقول عنـه الناقد اللامع مصطفى السحرتي : « لقد عبر شعر مطران عن حياته ، وعن نفسيته تعبيرا صادقا ، فهو شاعر رومانسي يهيم بالحب هياما ، ويشغف بالجمال شغفا كبيرا ، وتبدع ريشته في مجالي الالم ايما ابداع » .

اما عن عنصر الخيال في القصيدة ، فيدل على ان مطران قد فتح — كما قلنا — آفاقا جديدة مـن التأمل والاحساس العميق بطبائع الاشياء ، كما يدل على ما ركب في طبعه من احترام الجمال واصالة الفن ، وحسبنا ان نشير — هنا — الى بعض الصور الجميلة الحالية التي ساقها في قصيدته .

— في البيت الثاني يشخص الجمال ، وهو مـن المعاني المجردة ، ويخلع عليه صفات الآدميين ، يبعث الحياة في شرايينه ، ويبث الحركة في اوصاله ، ويجعله يهتف بامارة تلك الحسناء الجميلة .

— ويشخص الطيور في الأيك ، ويجعل منها خطباء مصاقع تشارك « الجمال » في هتافه بامارة تلك الحسناء ، وتحس الرياض والأيك بهـذا الجمال الصارخ فتتجاوب سريعا معه ، فيهتز الأيك ، ويبتسم الروض .

— وفي البيت الخامس يضن على حسنائه بأن تصبح صورة مماثلة للغصن في انعطافه وتثنيه ، وفي ازدهاره ونضرته ، فالغصن لا يصل — في الحقيقة — في نضرته وبهائه الى قدها المشوق ، وقوامها الرشيق .

— وفي البيتين : السادس والسابع يجعل « الزهر » يصبو الى جمال تلك الحسناء ، فيتعلق بأذيالها ، في محاولة للتعبير عن مكنون حبه لها ، و « الفرع » يميل من عليائه نحوها محاولا ضمها اليه ، كي يطفىء من شوقه اليها ، ويترجم لهـا عن ذلك التواصل المحبوب ، الذي ينبغي استمراره بينهما في غير انقطاع ، وعلى غير انتهاء .

وفي ظني ان احساس الزهر والفرع هنا ليس في الحقيقة سوى احساس الشاعر نفسه ، وهكذا يصنع الرومانسيون من الشعراء ، حين يحلون في مشاهد الطبيعة الساحرة ويندمجون في مرائيها العذبة ، ويفكرون مـن خلالها .

— والعياء او التعب الشديد يتحول عند مطران الى صورة حالية ، على الرغم مما يسببه مـن عرق يعلو الجبين ، ويصبغه بالشحوب :

حتى اذا حلى العياء جبينها بندى واخمد جمرة من عزمها
جلست تقابل امها . . . .

ولقد اشار الى هذا المعنى الدكتور احمد زكي ابو شادي ، وكان على راس من تأثر بمطران من المصريين ، في قصيدته : « حبيبتي المتنكرة » بديوانه « أنين ورنين »(٧) والتي مطلعها :

اوفدت رسمك للفؤاد رسولا فجعلت منه السائل المسئولا

وقد علق الشاعر احمد محرم على تلـك القصيدة فكان مما قاله : « هل تستطيع انت ان تقرأ هذا البيت ، ثم تتركه في ذلك الموقف ، وتملك نفسك من الانطلاق الى قصيدة اخرى قبل ان يأذن لك ، ويتقدم امامك ؟ » :

يا حسن نظرتك التي اروى بها واكاد اقتل بالفراق نبولا

انه يروى فيذبل ، ويكاد ان يقتل ! ايه يا احمد ماذا

فتنة عمري

رقص الفجر على أعتاب صدري
سائلا عنك : ايا فتنة عمري

ملء كفيه هدايا ، لو رأتها
أنجم الزهر لسارت نحو صدري

قال لي : انت محب ؟ قلت : منها
أستمد البوح ، يا أجمل فجر

كنت في الظلماء ، فامتد سناها
مرحا ، يلهب احساسي وفكري

ما أنا الا حنين ليس يدري
أهي الومض الذي فجر شعري

أم ترى الومض رأى في مقلتيها
زهرة الخلد التي فاحت بطهر

كيف يا سمراء غنيت التنائي
بعد ان صرت لروحي باب خير

كل افلاك الهوى ناحت ، وأرخت
حزنها ، لما غدا الهجران يجري

بين أنفاس لنا كانت حقولا
من شموس العطر ، يا مفتاح أمري

أنهري ضلت على البيد ، تنادي :
أين سمرائي اختفت ؟ قل : هي تجري

من زمان الزهر أطلقت طيورا
نحوها ، تحمل أندائي وعطري

وأنا قلبي على السكين يرنو
لحبال الناي تلتف بنحري

كل ظل هو مني قبلة في
جبهة النور التي بالسحر تغري

كل همس شكلته الارض همسي
أنت فيه الرنة الملأى بسحر

فائض وجدي على الكون وحرفي
أسكر البدر بلا قطرة خمر

كلما الورد اشتكى غربة كاس
وجد البسمة سلسالا بثغري

في دروبي يحضن الشوق وجوها
كل وجه هو في العينين بدري

أين تصطاف رؤى الحزن ، وهذي
نسمة من أبد الفرحة تسري

صبح الصخر شذاها ، ثم امسى
لينا ، كالموج يختال بسكر

كيف لا أحيا ، وقد أورق عودي
بيد الحب ، فهل أكره غيري

كيف لا أحيا ، وذات الخلق ذاتي
منهم العمر اكتسى حلة فخر

مراكش — المغرب
آيت وارهام احمد بلحاج

تقول ؟ وما هذا الذي بك ؟ ذلك هو جمال الوجدان في روعة الصنعة تقول : « يا حسن ضعفك في شحوب فاتن » كلا ما هكذا يقولون ، وما كان لطبيب مثلك ان يعشق الضعف ، ويفتن بالشحوب ولكنه وجدانك الناطق يحدث عن نفسك الشاعرة ، التي لا تعبأ بطبك ، ولا تعرف لغتك حين تقول : « ميكروب عدوى ، وحسبي من هذا من لذاذة هذه النجوى »(٨) وهكذا سبق مطران الى هـذا المعنى حين قال :

حتى اذا حلى العياه جبينها . . . . الخ

وحسبه ان يكون بالنسبة لأبـي شادي في منزلة الشيخ من المريد !

هكذا كان مطران شاعرا يهيم بالخيال ، ويتخذ من مشاهد الطبيعة صورا مشرقة يزين بها شعره ، ويكشف من خلالها عن مدى تعشقه للكون وتعلقه به ، لما يشتمل عليه من مراء ومشاهد تخدر الحس ، وتبهر النفس .

---

(١) ـ المجلة المصرية ، السنة الاولى جـ ٢ ص ٢٢ عدد ١٦ يونيو ١٩٠٠ م . (٢) ـ العمدة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد جـ ٢ ص ١١٧ (٣) ـ انظر : اتجاهات وآراء في النقد الحديث للدكتور محمد نايل ص ٧٠ (٤) ـ انظر : البيان والتبيين جـ ٦٢/١ ، ٦٣ والحيوان جـ ١٣١/٣ ، ١٣٢ (٥) ـ انظر : اتجاهات وآراء ص ٧١ (٦) الديوان الجزء الرابع ص ١٥ (٧) ـ انين ورنين ص ١٧ (٨) ـ نفس الديوان ص ١٧٧ وما بعدها .

القاهرة
محمد سعد حسن فشوان



عبد الرزاق الهلالي

قصـائد للاطفـال

في مناسبة عام الطفل

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *



كنت اتصور قبل مطلع عام ١٩٧٩ وهو عام الطفولة الدولي ، ان تكون لي في يوم ما محاولة لنظم اشعار للاطفال ولكن الذي حدث في مطلع هـذه السنة ان حفيدتي (دينا) وهي طالبة في الصف الثاني الابتدائي ، جاءتني ذات صباح راكضة وهي تقول ببراءة :

ــ جدو .. اريد قصيدة عن يوم الصحة المدرسية .
قلت لها : ومن قال لك اني استطيع ان انظم الشعر ؟
قالت : المعلمة هي التي قالت لي ذلك .

قلت : اذا كان الامر كذلك ، فاني سأحاول نظم ما تريدين ثم اخذت ورقة وقلما وبعد لحظات قلت لها اسمعي ، ورحت اردد لها هذه الابيات وهي على لسان احد الطلاب :

يـا اخوتي يـا اخوتي ... هيـا اسمعوا نصيحتي
وكيـف انـي دائمـا ... ادعـو لحفـظ الصحة
قـال النبـي المصطفى ... قـولا عظيم الحكمة
ايمانكم يدعـو الـى ... نظافـة يـا أمتـي
كونوا نظافا دائمـا ... لتسعـدوا بالبهجة

وقد فرحت كثيرا بهذه الابيات وبعد ان رددتها معي مرتين حفظتها وهي مسرورة . اما انا فقد عادت بي الذاكرة الى السنوات التي قضيتها بالتدريس في المدارس الابتدائية ودار المعلمين وقلبت كتب اللغة العربية لصفوف هذه المدارس وجدت ان الشعر الذي يماشي مدارك الاطفال ويداعب اخيلتهم ويوجههم ويمدهم ببعض المعلومات المبسطة لبعض مظاهر الحياة قليل جدا في هذه الكتب ، لكل هذا رايت ان اسهم في نظم بعض القصائد في هذا المضمار .

وفي خلال شهر من الزمن كان عدد القصائد التي نظمتها (٣٢) قصيدة جمعتها في ملف واحد تحت عنوان (قصائد للاطفال) فيها مـا يناسب اعمار الطلاب في الصفوف الاولية والابتدائية .

وحيث ان طبع هذه المجموعة قد لا يتم في القريب . لذا رايت ان انشر على صفحات مجلة الاديب الزاهرة ، نماذج من هذه القصائد ، آملا ان يجد فيها اخواني المربون في الوطن العربي ما يمكن الافادة منه في المدارس ، وارجو في الوقت نفسه من اخواني الادباء والشعراء وفي مقدمتهم الاساتذة : محمد العدناني ، عجاج نويهض ، محمد عبد الغني حسن ، سليمان العيسى ، عيسى الناعوري ، حسن عبدالله القرشي ، وعبدالله الانصاري وزكي قنصل ارجو من هؤلاء الاساتذة وغيرهم من المربين بيان آرائهم في هذه القصائد ومن الله التوفيق .

والى القارىء هذه النماذج : ــ

١ ــ مدرستي

مدرستي جميلـة ... لا انثني عـن حبهـا
أحبهـا لانهـا ... تحبنـا مـن قلبهـا
فهي التي تجري لنا ... جداول مـن عذبهـا
تسقي بهـا عقولنا ... فترتوي مـن شربها
وهـي لنـا كامنـا ... في عطفهـا وحدبهـا
نرضع مـن لبانها ... وننتشـي بطيبهـا
منهـا العلوم نستقي ... في صفهـا ورحبهـا
وكل مـا فيه لنـا ... تربيـة نسمو بهـا
فـرددوا بنشـوة ... مـا قلتـه في حبها
مدرستي جميلـة ... تحبنـا مـن قلبهـا

٢ ــ الحليب

قـال الطبيب سائلا ... مـن الـذي يجيب
عـن سائـل نشربه ... وهـو لنـا حبيب
تقـوى بـه جسومنا ... يوصـي بـه الطبيب
(دينا) : اجابت انه ... يـا سيدي الحليب
فقـال شكرا انهـا ... جوابهـا مصيـب
فلتشربـوه دائمـا ... فهـو لكـم قريب
لان مـن يشربـه ... صحتـه تطيـب

٣ ـ الذباب

سالت (بسمة) يوما عن مضرات الذباب
قلت هذا لك خصم شره فيه العذاب
ينقل المكروب دوما وبه الجسم يصاب
فاحذريه واقتليه ان ذا خير عقاب
واجعلي البيت نظيفا ليس فيه ما يحاب
ابعدي الاذبال عنه فهي للمكروب باب
ثم رشيه (مبيدا) كلما عاد وآب
لتعيشي يا فتاتي فيه عيشا مستطاب

٤ ـ عندي بطة

في البيت عندي بطة تسكن في كوخ صغير
بنيته من قصب هش ومن بقيا حصير
تسكنه مسرورة كانه قصر كبير
تسرع نحوي وهي في مشيتها لا تستدير
لانني احبها كمثل حبي للفقير
اطعمها ما تشتهي من حب رز او شعير
وهي لفرط حبها وشوقها نحوي تطير
لو كان في لسانها نطق وفيه تستجير
لاعربت عن حبها وما يكنه الضمير
واسترسلت لاهجة بالحب والشكر الكثير

٥ ـ أمي وابي

لم اجد في العيش عونا مثل امي وابي
فهما مذ ولداني اخذا في داب
يبعدان الشر عني بالضنى والنصب
وهما قد غذياني بلبان طيب
وهما قد ربياني في رياض الادب
كم ليال سهراها كي يزيلا تعبي
فاذا كنت مريضا والاذى يحدق بي
مرضا هما وغما في جوى ملتهب
واذا قمت معافى هللا في طرب
كيف انسى كل هذا هل انا غر غبي
يا الهي . يا الهي ليس لي من مطلب
غير ان تحفظ دوما لي امي وابي

٦ ـ انا والهزار

نهضت ذات صباح وسرت نحو الحديقه
وبينما كنت أمشي بين الزهور الانيقه
سمعت صوت صفير فوق الغصون الوريقه
من طائر كان يشدو بزقزقات رقيقه
فقلت هل انت طير في الصبح ضل طريقه
فقال وهو سعيد نشوان يبلع ريقه
انا الهزار المغني للكائنات الصديقه
اشدو لها كل حين فالروح مني طليقه
فقلت يا طير شكرا تحب كل الخليقه
فانت حر كريم لقد علمت الحقيقه

٧ ـ المطر

انا يا سادتي ماء جرى في النهر والبحر
جرى كي يمنح الخير لكل الخلق في بشر
ولكني بحر الشمس قد ضاقت بي الروح
تبخرت على كره وقد طارت بي الريح
وقادتني الى جو فسيح ما له حد
وقالت ها هنا حلق فقد كل بي الجهد
وبينا انا مرتاح فلا برد ولا حر
أتت ريح مزمجرة بها برد بها قر
وضمتني الى سحب بها برق بها رعد
وعافتني مودعة وبرد الجو يشتد
ولم ابق بهذا الحال حتى صدر الامر
لكي ننزل امطارا بنا يندفق الخير
فعدنا مثلما كنا مياها في الثرى نجري
وصرنا بعد انهارا بنا تجري الى البحر

٨ ـ الوردة والنحلة

قالت الوردة يوما وهي في ثوب جميل
من ترى يمتص مائي سائغا كالسلسبيل
يتغذى من رحيقي وانا جسمي نحيل
خبروني يا رفاقي من ترى هذا الدخيل
قالت النحلة اني قمت في هذا العمل
انني رهن بطبعي واليه امتثل
فهو يدعوني لامر ليس لي عنه بدل
أن امص الزهر دوما دون ان اخشى الاسل
فرحيق الورد فيه لبني النحل الامل
اذ به شمع نظيف نبتني منه النزل
وبه شهد لذيذ ذلك الشهد العسل
فلكل الورد منا واجب الشكر حصل
قالت الوردة لما سمعت هذا الكلام
أن يكن مص رحيقي فيه نفع للانام
وبه خير عميم لك يا بنت الهوام
شاركيني في رحيقي انا لن ابدي الملام

٩ ـ القطار

انا لكم ماكنة اوجدها عقل البشر
صممها معتمدا على البخار المستمر
وقوتي منه اذا سرت بطيش او حذر
اسير فوق سكة من الحديد المعتبر
تقودني ممتدة ما بين بدو او حضر
اجر خلفي مثقلا ركبا به الحمل استقر
في عربات قد بدت مقطورة مثل البقر
تكدس الحمل بها لنقله مهما كثر
أو عربات خصصت للناس انشاؤوا السفر
من موطن لموطن في مأمن من الخطر
فهل عرفتم من انا وما لجهدي من اثر
انا القطار واجبي في مرفق النقل انحصر

وبعد ، فهذه نماذج من قصائد للاطفال ، ارجو ان تكون عند حسن ظن الجميع وهي على كل حال محاولة جادة لخدمة اطفالنا الاعزاء ، فماذا يقول فيها القراء الكرام ؟

عبد الرزاق الهلالي

بغداد ـ شارع عزيز احمد شهاب
محلة نجيب باشا ـ اعظمية



من حديث الكتب

تأليف الاستاذ محمد سعيد العامودي — ٣٤٨ صفحة — مطبوعات نادي الطائف الادبي بالسعودية

يبرز هذا الكتاب الدسم معدن الاستاذ محمد سعيد العامودي الخلقي قبل ان يبرز معدنه الادبي ، اذ شاء ان ينكر حسه النقدي في كثير من موضوعات الكتاب ليكشف عن جوهره النفسي حين يستعرض طائفة من الكتب القيمة ليكشف عن لبابها الثمين في قوة ، وليغضي في بعض الاحيان عما بها من هنات ، كيلا يصرف القارىء بعض الايحاء الخفي عن الثقة في مضمونها الاصيل ، وهذا ما يحاذره الكاتب الكبير اذ آثر ان يقدم لقارئه من الآراء الفكرية ما يتمنى ان يكون موضع نفع ادبي وسلوكي معا ، وكان في طوق الكاتب بكل سهولة بالغة ان يضع الكتاب المعروض في الميزان ليقدم من حسناته ما يتوازن مع ما يقدمه من هناته .

وللاستاذ الكبير سابقة محمودة في النقد الادبي حيث عرض لآثار قوية فوضعها في الميزان الدقيق بحيث لا ترجح كفة على كفة الا بعد تقدير صائب يزن شتى الظروف ، ويفترض كل الاحتمالات ، وهذه الحاسة النقدية البالغة قدرها المقدور في الشفافية تيسر لصاحبها ان يبين موضع النقد في سهولة ، ولكن الحس الخلقي لدى الكاتب قد شاء ان يكتفي بتقديم اللباب الخالص فيما يعرض من الكتب ، واذكر ان صديقي الاديب الكبير الاستاذ عبد القدوس الانصاري قد عرض لكتاب (من حديث الكتب) في المنهل الاغر فذكر ان الكتاب (ميكروفلم) يحمي دقائق الاسفار المعروضة احصاء دقيقا ، وهو تشبيه دقيق يقدم الكتاب في صورة مقربة للقارىء .

واذا كان المشبه لا يتفق مع المشبه به في كل شيء كما يقول البلاغيون والا فقد عدم الفارق بينهما اذ يصبح المشبه والمشبه به شيئا واحدا ، اذا كان المشبه لا يتفق مع المشبه به في كل شيء فان مما يفترق المشبه به عن المشبه لان الميكروفلم صورة صماء لا تفصح عن اختيار ، اما كتاب الاستاذ العامودي فيقدم الرائق المستطاب ويهمل ما لا يرتفع الى مستوى الابداع ، وفي هذا تشويق للقارىء كي ينهض الى قراءة الكتاب المعروض فيستفيد منه مشوقا اليه بما قدم له الاستاذ العامودي من ثماره اليانعات ، وحينئذ يعرف ان القراءة النافعة مورد عذب لا يتاح لاكثر الناس الا وراء دليل صادق الحس ، صائب النظر جيد التمييز ، وهي صفات متوافرة لدى الاستاذ العامودي ، وبها أدى كتابه الجيد رسالته الادبية ، وافصح عن مغزاه الخلقي ، وحدد سنته التربوي بما لا يستطيع ان يمتري فيه منصف امين .

لقد تعرض الاستاذ العامودي في كتابه الرائع الى تحليل كتب قيمة يحتل اصحابها — او اكثر اصحابها — مكان الصدارة في مضمار التاليف ، فكشف عن اهدافها ، وقدم عصاراتها الدسمة في وضوح تعبير ، وجلاء مذهب !! تعرض الى كتاب بطل الابطال للاستاذ عبد الرحمن عزام والفاروق الخالد للواء محمود شيت خطاب وداعي السماء للاستاذ عباس محمود العقاد وعبد الملك بن مروان للاستاذ ضياء الدين الريس ، والمنصور ابي جعفر للدكتور عبد الجبار الجومرد ، ورجال من التاريخ للاستاذ علي الطنطاوي ، ولا شيوعية و لااستعمار للاستاذ العقاد والاستعمار والمذاهب الاستعمارية للدكتور عوض محمد والاستعمار احقاد واطماع للاستاذ محمد الغزالي ، واسطورة اسرائيل للدكتور فرانس جوزيف ووعي المستقبل للاستاذ قدري حافظ طوقان ، والامم المتحدة وكيف تعمل لدافيد كرشمان ، والديبلوماسية عبر العصور لهارولد نيكولسون ، وشمس العرب تسطع على الغرب للدكتورة زيغريد هونكه ، وفي مهب الريح للاستاذ ميخائيل نعيمة ، والعرب وابن خلدون للاستاذ ابو القاسم كرو وغيرها من الكتب النافعة .

وبمراجعة الاسماء السابقة للكتب المعروضة نجد الاستاذ العامودي قد تعمد ان يؤرخ للحياة العربية منذ ظهور الاسلام تاريخا متتابعا اذ اختار ما يمثل هذا التاريخ في خطواته المتتالية ، فالحقبة الاولى من صدر الاسلام تمثل فيما كتب عزام والعقاد وشيت خطاب والعصر الاموي يمثل فيما كتب الريس والسيدة اسماعيل كاشف والعصر العباسي يمثل فيما كتب الجومرد والعصر الوسيط يمثل فيما كتب الدهان والطنطاوي والعصر الحاضر يمثل فيما كتب عبد الرحمن الرافعي ! فاذا فرغ الكاتب من تقديم العصور على هذا النحو شاء ان ينتقل من التاريخ الى عالمنا الحاضر الذي يمج باحتدام التيارات المتلاطمة !

ومن اعنف هذه التيارات تيار الاستعمار حيث تعرض الكاتب الى تحليل ثلاثة كتب ممتازة تتحدث عن هذا الوباء الكريه للعقاد والغزالي وعوض محمد ، كما خص اسرائيل بكتاب حافل صادق الاستدلال كتبه امريكي لا يرمى بالتعصب للعرب ولكنه وعى الحقيقة وعيا صريحا فاشار اليها في جراة وايمان ، اما رسالة العرب الحضارية فقد اختار لها الكاتب الكبير ما يجلوها احسن الجلاء ، واما الصحافة ورسالتها الجبارة التي وهب لها الاستاذ العامودي حياته فقد اختار لها كتابا هادفا كتبه باحث جامعي متئد هو الدكتور خليل صابات ، ويطول بنا القول لو اردنا ان نقف ازاء كل كتاب قام الاستاذ العامودي بعرضه ولكننا نختار — على سبيل التمثيل — ما ذكره الاستاذ العامودي عن كتاب (في مهب الريح) للكاتب الكبير الاستاذ ميخائيل نعيمة حيث خصه للعامودي بثلاث عشرة صفحة من صفحات الكتاب بلغت الغاية كل الغاية في التقديم والعرض والتعقيب اذ بدأ العامودي بالحديث عن المؤلف الكبير فقال انه اديب من ادباء القمة في العالم العربي وانحى باللائمة على من ينتقصون ادب المهجر من غلاة الناقدين فذكر الاستاذ انه ادب انساني هادف يعتمد على التامل بعيدا عن الحذلقة والسفسطة والتهريج ومن اهم صفاته عمق الفكرة وفنية التعبير ، وصدق الاحساس واستقلال الشخصية ثم عقب العامودي بعد ذلك بقوله (وسنجد كل هذه السمات والخصائص واضحة في هذا الكتاب كل الوضوح) .

واخذ الاستاذ يلخص ابواب الكتاب تلخيصا دقيقا بحيث لم تكد تفوته رائعة من روائعه واختار لقارئه كثيرا من فرائده التي نختار من مختارها قول نعيمة :

(ان تكن العين سراج الجسد ، فسراج النفس الضمير بالعين يميز الجسد الليل من النهار ويميز الاشياء من حيث اشكالها والوانها وابعادها ، ثم يميز ذاته من سائر الاشياء ، وبالعين يستنير ليسلك سبيله في الارض ، كذلك بالضمير ، وتميز النفس ما بين الحلال والحرام ، والصلاح والطلاح ، والفضيلة والرذيلة ، وتميز نفسها من سائر النفوس ، وبالضمير تستنير لتسلك سبيلها في دنيا الخير والشر ، والانسان وهو المخلوق الاوحد على الارض الذي خصته الحياة بنور الضمير علاوة على نور العين ، ومثلما يتفاوت الناس في صفاء البصر ، يتفاوتون في صفاء البصيرة ، فالفرق بين الزباء والاعشى من حيث نقاوة البصر كالفرق — من حيث نقاوة البصيرة —

بين من يحب قرينه محبته لنفسه ومن يقول من بعدي الطوفان) .

ووالى العامودي عرض المختارات الماثلة في مقدرة حصيفة على الاستشفاف البصير ، والتهدي الى اخلص الجواهر الثمينة من معادن الخواطر والافكار ، حيث ختم هذه الروائع المنتقاة بقول نعيمة ، وهو ايضا ختام هذا الكتاب الحافل (من حديث الكتب) اذ قال نعيمة عن الكتابة الادبية :

(الكتابة عمل مرهق كسائر الاعمال البناءة ، الا انه عمل لذته لا تفوقها لذة ، وهي لذة قلما يتذوقها الكسالى وفاترو الهمة ، فان شئتم بلوغ القمم الادبية حيث (الخالدون) فعليكم الا تشركوا في محبتكم للقلم محبة اي ساطان سواه وان تنبذوا الكثير من ملذات العالم وامجاده ، فانتم اذا ادركتم اي مجد هو مجد القلم هانت لديكم من اجله كل امجاد الارض، وصنتم اقلامكم عن التملق والتسفل والتبذل ، وما دامت اقلامكم عزيزة فانتم اعزاء) .

وهذا التوجيه الرائع يختم العامودي كتابة (من حديث الكتب) ليشير الى تفضيل الكتابة التي هي شغله الشاغل في حياته الحافلة حفظه الله .

وانا انصح قارىء هذا الكتاب الا يقرأه في ساعات متتابعة ، فعليه ان يتمهل بين القراءة ليعطي نفسه فترة كافية لتذوق هذه المختارات وامتصاصها كي تتحول جزءا من كيانه الفكري لان كل فصل من فصول الكتاب يضم حديثا وعرضا وافيا لكتاب ممتاز ، وصعب ان يلم القارىء بعدة كتب دسمة في مجلس متصل . ولا يعلم كم عانى الاستاذ العامودي في تلخيص هذه الروائع الا من بذل مثل جهده في القراءة المتصلة ثم في الاختيار الدقيق ثم في الاستيعاب الشامل ثم في التوجيه السديد والتعبير الهادىء ، وما يلقاها الا الذين صبروا ، والاستاذ العامودي يعرف جيدا حبي الشديد للكاتب الكبير الاستاذ احمد امين لذلك ادعوه ان يراجع ما قاله عن ابن خلدون في ضحى الاسلام ليعرف ان من نقل كلامه قد تجنى عليه حين اكتفى بلا تقربوا الصلاة وسكت عن بقية الآية الكريمة ، فالاستاذ احمد امين لم يلق قوله القاء عائما دون تدليل ، بل ذكر وجهة نظره الواضحة ، وعلى معارضه ان يناقش حجته المنطقية بعيدا عن المغامز المنكرة اذ كلنا طالب حقيقة ، ولا يوجد من يشك في حب احمد امين لابن خلدون بعد ان يقرأ ما كتبه عنه في الجزء الثالث من ظهر الاسلام ، ولا ادري لماذا يحاول بعض الناس ان يعمي القول تعمية ان دلت على تسرع البحث فقد دلت على الاجحاف الاليم ، ولماذا نحاول ان نخلق للفيلسوف العربي الكبير خصوما من اصدقائه المعجبين لنكون وحدنا المحبين ! مع ان ابن خلدون في عليائه لا يهتم الا بآراء النقدة الفاقهين من امثال احمد امين .

المنصورة ــ كلية اللغة العربية   محمد رجب البيومي

* * *

ديوان الابيوردي

تحقيق الدكتور عمر الاسعد ــ مجلدان من الحجم الكبير ــ ١٠٨٠ صفحة ــ من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ــ مطبعة زيد بن ثابت بدمشق ــ العامان الهجريان ١٣٩٤ و ١٣٩٥ ، والميلاديان ١٩٧٤ و ١٩٧٥

اهدى الي الاديب الكبير الدكتور عمر الاسعد ديوان الابيوردي ، الذي درسه دراسة شاملة ودقيقة ، تشعر القارىء انه امام احد عمالقة الادب المعاصرين ، البارعين في تحقيق المخطوطات القديمة ، والذين اتبعوا اساليب المستشرقين الدقيقة ، وغبروا عليهم في بعض الاحيان .

وقد حقق المؤلف « العراقيات » في الجزء الاول ، وبقية « العراقيات والنجديات » في الجزء الثاني .

والابيوردي ينتمي الى الامويين ، وقد اجمعت المراجع على ان جده الاعلى هو ابو سفيان ، الذي قال فيه مفتخرا :

وأقرع أبــواب الملوك بوالــد   حوى بابي سفيان أشرف منتمى

ولد الابيوردي نحو سنة ٤٥٧ هـ. وتوفي في شهر ربيع الاول سنة ٥٠٧ مسموما بأصبهان ، كما يقول إبن خلكان ، فيكون قد عاش نحو خمسين سنة . وفي ديوانه نحو ستة آلاف بيت ، خمسة آلاف منها للعراقيات ، وهي قصائد شبابه التي نظمها قبل الاربعين ، وجلها في الخليفتين المقتدي والمستظهر ، ووزرائهما ، وكبار القوم في عصرهما . اما الالف بيت الباقية ، فقد اطلق عليها اسم النجديات ، وهي قصائد صغيرة في الغزل ، نظمها تلبية لرغبة صديقين له ، كانا يرتاحان للنسيب الرقيق .

واعتمد الدكتور الاسعد احدى عشرة نسخة مخطوطة هي :

نسخة دار الكتب المصرية . ومكتبة عاشر افندي في «رئيس الكتاب» . ومكتبة متحف طوب قبو . ومكتبة باريس الوطنية . ومكتبة الفاتح . ومكتبة دير الاسكوريال . ومكتبة كوبرولي . والمتحف البريطاني . ومكتبة ليدن . ومكتبة بودليان . ونسخة مكتبة توبنجن .

وكثرة المخطوطات هذه ، واسلوب معالجة موادها يدلاننا على علو كعب الدكتور عمر في تحقيق المخطوطات . وهنالك مخطوطات ثمان اخرى غير معتمدة ، لان في كل منها نقصا ، وبين المخطوطة الاولى والاخيرة نحو ستة قرون .

اما اسلوب التحقيق فانني الخصه بما ياتي :

(١) حرص المؤلف على المحافظة على ما في نسختي الاصل ــ وهما نسخة دار الكتب للعراقيات ، ونسخة كوبرولي للنجديات . وحرص على شكل شعر الديوان بما شكل به في هاتين النسختين ، ما لم يكن غلطا او سهوا في النسخ .

(٢) وراعى في النسخ ما تواضع الناس عليه من اصول الكتابة الحديثة :

(أ) اهمل طريقة الناسخ في اثبات ثلاث نقط تحت السين ، ونقطتين وسط الياء .

(ب) اعاد رسم بعض الكلمات بشكلها الجديد : «الحيوة ــ الحياة» .

(ج) التزم بكتابة الالفات المقصورة والقائمة ، بقواعدها المعروفة .

(د) اثبت الهمزات المسهلة : « بشايره ــ بشائره » .

(هـ) أثبت ألف الوصل المحذوف ، وألف « آذا » المحذوفة : « كما هتز ــ كما اهتز ، اذ لاح ــ اذا لاح » .

(و) أسقط الف (ابن) وامثالها حيث وجب اسقاطها .

(ز) أشبع الضمائر المتصلة المحذوفة ، والمدلول عليها بحركاتها : « اجزل ــ أجزلوا » .

(٣) أهمل الاشارة في نسختي الاصل ــ وفي النسخ كافة ــ الى الاخطاء الاملائية والنسخية ، واخطاء الشكل .

(٤) أثبت الابيات التي سقطت من نسختي الاصل ، ووردت في بقية النسخ ، ودلل على سقوطها بحاصرتين كبيرتين (   ) .

(٥) أشرك في المقارنة الحرفية نسخ الديوان كافة في عملية التحقيق ، ومعها الديوان المطبوع ، متجاوزا اغلاطه المطبعية والنسخية الكثيرة ، وذاكرا من رواياته الاوجه المحتملة .

(٦) سجل حواشي النسخ كافة الا ما لم يتبينه ، نتيجة طمس ، او بلل ، او دقة خط ، واشار الى ذلك بما يدل عليه من نقط (....) .

(٧) لم يحرص على اثبات هوامش نسخة الاصل حرصه على اثبات نصها .

(٨) قوم في هوامش النسخ وشروحها وتعليقاتها كثيرا من العبارات المضطربة ، دون الاشارة الى الخطا ، اي الاصل الذي ذكرت تلك العبارات على صورته .

(٩) حافظ على نصوص الهوامش والتعليقات .

(١٠) خرج الشواهد الشعرية والابيات الضائعة المجهولة ، وبقيت

ابيات قليلة ، لم يتوصل الى معرفة ناظميها ، او ردها الى مظانها .

(١١) والعبارات التي وقعت في حواش مستقلة ، دون ان يشار اليها بشيء هي من وضع المحقق .

(١٢) رجع الى معاجم اللغة للتثبت من الشروح والمعاني الواردة في الحواشي كافة ، فان كانت صحيحة سكت عنها ، والا نبه الى ذلك فصححه ، او زاد عليه ، دون ذكر اسم المعجم ، الا اذا نقل حرفيا نصا منه .

(١٣) حرص على ان تتسع حواشي بعض ديباجات القصائد لترجمة الاعلام انهامة الواردة فيها .

(١٤) واخيرا ، اهتم بالحاق فهارس متنوعة لكل من جزأي الديوان لتسهيل مراجعته والنظر فيه .

ثم يضع الدكتور عمر ستة نموذجات لست صفحات مخطوطة من الديوان ، تبين الجهد العظيم الذي بذله المحقق الدقيق جدا للوصول الى اقصى ما يمكن من الاصل الحقيقي ، الذي أراده الشاعر الابيوردي .

اما ملحوظاتي اللغوية فهي قليلة جدا بالنسبة الى هذين الجزاين الكبيرين ، منها : انه قال : الى قسمين رئيسيين ، والاحسن : رئيسين ، وان كان مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد اجاز رئيسين ايضا .

وقال : الباء الموحدة ، والدال المهملة ، والياء التحتية . ولست ادري لماذا ذكر (الموحدة ، والمهملة ، والتحتية) ، وهل هناك باء غير موحدة ، ودال غير مهملة ، وياء فوقية غير تحتية ؟ ولئن كان الاجداد قبل مئات السنين قد اضطروا الى ذلك ، قبل الاعجام ، فنحن لسنا في حاجة الى هذا التفصيل ، وطلابنا في رياض الاطفال والمدارس الابتدائية يعرفون كيف تكتب الباء والدال والياء .

وقال : كرس اكثرها ، والصواب : خص اكثرها ، لان الفعل (كرس) لاهوتي .

وقال : متحف طوب قابي ، والصواب : متحف طوب قبو في الآستانة ، ومعنى (قبو) بالتركية باب ، وطوب (مدفع) .

وقال نماذج ، والصواب : نموذجات ، لان النموذج اسم خماسي لم تذكر له المعاجم جمع تكسير ، لذا يجب جمعه جمع مؤنث سالما .

ولا بد لي هنا من ان اورد عددا من الابيات ، التي نظمها الشاعر الابيوردي ، الذي تميز من شعراء عصره بوجهه العربي الاصيل ، وترفعه عن المديح الرخيص ، ليرى قراء « الاديب » اية قمة بلغها هذا الملهم الكبير .

فمما جاء في ديوان « العراقيات » :

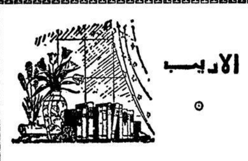
وقد خلف الدهر الغواني ، فصرفه ... كالحاظها في منزل الحي مغتال
ولم أدر من أدنى الى الغدر : صاحبي ... أم الدهر ، أم مهضومة الكشح مكسال
من العربيات الحسان ، كانها ... ظباء تناغيها بوجرة اطفال
يباهي بها الليل النهار ، فشهبه ... عقود ، ومن عين الغزالة احجال

ومما قاله في مدح الخليفة العباسي المستظهر بالله :

ذو همة بالعلا مشغوفة ، جمعت ... من المكارم أبكارا الى عون
لم يرض بالارض ، فاختار السماء لها ... حتى اطمانت بربع غير مسكون

ومن اقواله الخالدة :

متى ترد الثراء ، فلست مني ... وخدني غير من سال الرجالا
فلا تصحب من اللؤماء وغدا ... يكون على عشيرته عيالا
وشايعني ، فاني لست أبدي ... لمن ينوي مخالصتي ملالا



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج ٣٠٠ ل.ل. او ١٠٠ دولار كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء انشرت أم لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩ — Dir. 223819
المنزل : ٢٢٥١٣٩ — Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨ــ١١

بيروت ــ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

أنا ابن الاكرمين أبا وأما   وهم خير الورى عما وخالا
أشدهم اذا اجتلدوا قتالا   وأوثقهم اذا عقدوا حبالا
وأرجحهم اذا قدروا حلوما   وأصدقهم اذا افتخروا مقالا
وأصلبهم لدى الغمرات عودا   اذا الخفرات خلين الحجالا

ومن روائعه :

بيض سلبن المها لحظا تمرضه   ثم استعرن من الغزلان أجيادا
منهن ليلى ، ولا أبغي بها بدلا   تجزي المحبين بالتقريب ابعادا
انـي لأذكرها بالظبي ملتفتا ،   والشمس طالعة ، والغصن ميادا
وقد رضيت من المعروف تبذله   أن ينجز الطيف في مسراه ميعادا

ومما قاله في مدح الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله :

ولاحت تباشير الصباح كأنها   سنا المقتدي بالله في آل عباس
حمى بيضة الاسلام ، فاستحكمت به   عراه ، وقد شدت لديه بأمراس
يلوذ الرعايا آمنين بعزه   لياذ عتاق الطير بالجبل الراسي
فيلحفهم ظلا من العدل وارفا   ويرعاهم بالنائل الغمر والباس

ومما جاء في ديوان « النجديات » :

مهفهفة يشكو الوشاح ازارها   فقد سيم ظلما ، وهي لي منه أظلم
وأشرق خد لاح موقع لثمه   وقد كدت لولا خشية الله ألثم

وجاء فيه ايضا :

خطرت لذكرك يا أميمة خطرة   بالقلب تجلب عبرة المشتاق
وتذود عن قلبي سواك ، كما أبى   دمعي جواز النوم بالآماق
لم يبق مني الحب غير حشاشة   تشكو الصبابة فاذهبي بالباقي
أبيل من جلب السقام طبيبه   ويفيق من سحرته عين الراقي
ان كان طرفك ذاق ريقك فالذي   ألقى من المسقي فعل الساقي
نفسي فداؤك من ظلوم أعطيت   رق القلوب وطاعة الاحداق

وقال فيه :

نات أم عمرو ، قرب الله دارها   وأظهر دمعي ما تجن الأضالع
فوالله ما أكرهت جنبي بعدها   على السر حتى تستشار المدامع

ومن نجدياته :

وهيفاء لا أصغي الى من يلومني   عليها ، ويغريني بها ان يعيبها
أميل باحدى مقلتي اذا بدت   اليها ، وبالاخرى أراعي رقيبها
وقد غفل الواشي ، ولم يدر أنني   أخذت لعيني من سليمى نصيبها

ومنها ايضا :

كيف السلو ، وقلبي ليس ينساك   ولا يلذ لساني غير ذكراك
أشكو الهوى لترقي يا أميمة لي   فطالما رفق المشكو بالشاكي
ولست أحسب من عمري ، وان حسنت   أيامه بك ، الا يوم ألقاك
وما الحمى لك مغنى تنزلين به   وليس غير فؤاد الصب مغناك
يشقى ببعضي بعضي في هواك فما   للعين باكية ، والقلب يهواك
ان يحك ثغرك دمعي حين أسفحه   فانني جدت للمحكي بالحاكي
ومن عقودك ما أبكي عليك به   وهل عقودك الا من ثناياك
ما كنت أعلم أن الدر مسكنه   يكون جيدك ، أو عيني ، او فاك

ولا بد لنا في الختام من تحية هذا المحقق الكبير ، الذي نشد الكمال في مؤلفه الضخم النفيس ، فتتبع الاخطاء المطبعية التي وردت في الديوان ، المضبوط بالشكل الكامل ، وافرد لها بضع صفحات وضع فيها صوابها في نهاية الجزأين الاول والثاني .

والى اللقاء في تحقيق ديوان مخطوط خالد آخر .

محمد العدناني

حديقة الحيوان
في لزوميات ابي العلاء المعري

٢٩٢ صفحة — قطع كبير — مطبعة المجد — دمشق

منذ اكثر من ثلاثين عاما والاستاذ الياس سعد غالي عاكف على موضوع شائك صعب ، هو « دانتي ما بين المعري وفرجيل » ليثبت رأيا قد يخالف فيه الكثيرين من ان دانتي لم يعرف ابا العلاء ولم يقتبس من رسالة غفرانه شيئا ولا سيما فكرة « الكوميديا الالهية » ، ولم يقف الى جانبه في هذا الرأي الا الدكتورة بنت الشاطىء « عائشة عبد الرحمن » لقد بين ان جميع من تبنوا فكرة الاخذ والاقتباس هذه انما كانوا ناقلين عن غيرهم نقلا عشوائيا ، لا تبصر فيه ، متبنين الراي الذي أتى به الراهب الاسباني اسين بلاسيوس كأنه نصر قومي او سبق متقدم لمآثر العرب في ابداعات الفكر الانساني .

ليس هذا هو الموضوع الذي اريد ان اعالجه الآن وانما أتيت بهذه المقدمة لأبين الجهود القيمة التي بذلها الاستاذ الباحث الياس سعد غالي على مدى اكثر من ثلاثين عاما يقرأ ويبحث وينقب ويفتش في بطون الكتب والمجلات والصحف عن كل ما يعرف انه يخدم موضوعه حتى كتب ثلاثة مجلدات لم يتح له ان ينشرها ... وان كان قد نشر بعض فصولها في مجلات مختلفة في القطر وخارجه . وهذه الفصول هي اقرب الى الدراسات والبحوث العلمية منها الى المقالات الادبية ، منها « دانتي بين المعري وفرجيل ١٩٤٦ » ، « آدم ولغته في نظر المعري ودانتي ١٩٧٤ » ، « دانتي وفرجيل ١٩٧٥ » ، « المعري ولوقيانوس السميساطي ١٩٧٥ » مقارنا بينه وبين هذا الاديب الفيلسوف الفراتي القديم في كتابه مسامرات الاموات ، الذي ترجمه الياس غالي ونشرته الاونيسكو عام ١٩٦٧ ، « أوديك اسهاقيان وابو العلاء ١٩٧٦ » ، « دانتي ١٩٧٧ » ، « ترجمة رسالة الغفران ١٩٧٧ » ، «غفران المعري وضفادع اريستو فانيس ١٩٧٨»، « صديق المرأة الحميم ابو العلاء المعري ١٩٧٨ » .

وقد فتحت ملازمته الطويلة لابي العلاء ذهنه على الآفاق الرحبة لهذا الشاعر العظيم فقام بمشروع ثقافي مفيد لم يخطر لأحد في بال باقدامه على اخراج سلسلة كتب او « حدائق لزوميات أبي العلاء » كما سنبين فيما يلي .

لقد استرسل الاستاذ غالي في بحوثه وقام منذ عام ١٩٧٤ في جمع كل ما قاله ابو العلاء بخصوص الحيوان ولا سيما في اللزوميات حتى غدا بحثه كتابا هو موضوع هذه الكلمة العجلى ، وقد رأى النور منذ ايام ، وهو يقع في نحو ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير ، اهداه الى كل من كانت له يد في تربيته وتعليمه ، وقد نشره على نفقته الخاصة بعد ان تنكبت جهات رسمية مختصة عن تولي نشره ، بالرغم من اهمية الهدف الذي يرمي اليه ، ألا وهو تحقيق مجد عظيم لشاعر العرب الخالد ابي العلاء المعري ، ونفع معنوي لبني قومه على المستوى العالمي كما يقول .

ويشير المؤلف في بداية الكتاب الى ما حداه على التساؤل لماذا لا يكرم ابو العلاء عالميا في نطاق دولي وهو اول من دعا الى الرفق بالحيوان بقوله :

أرفق به ، فشهدت انك ظالم   في ظالمين أباعد وأقارب

فسبق بهذه الدعوة بمئات السنين جميع المؤسسات العالمية في بريطانيا وفرنسا التي راحت تدعو الى الرأفة بالحيوان والعطف عليه لانه لا يستطيع ان يفصح عما يعاني من ألم وجوع وتعب ... لذلك اخذ المؤلف يسعى الى تحقيق هذا الهدف منذ عام ١٩٧٤ فأخذ يراسل الجمعية الملكية والجمعية الدولية للرفق بالحيوان في لندن ، والاونيسكو في باريس ،

عارضا الفكرة حاثا على تكريم ابي العلاء الذي دعا منذ اكثر من ألف عام الى الرفق بالحيوان كحيوان . وعلى اثر هذه المراسلات قبلت الجمعية الفكرة ، مرحبة بما قدمه اليها من معلومات هامة ومفصلة عن ابي العلاء ومؤلفاته ، ووعدت ان تدرس لجنتها المختصة الموضوع بعد الاطلاع على ما كتبه ابو العلاء في هذا الخصوص ، ولذلك لم يكد يستلم اول نسخة من المطبعة حتى كانت في طريقها الى هذه الجمعية .

ولكي يكون الموضوع وافيا فقد وضع للكتاب مقدمة احتلت خمسا وسبعين صفحة ، تحدث فيها عن كل ما يتعلق بالرفق بالحيوان . متتبعا النظر اليه عبر التاريخ لدى الوثنيين وفي التوراة والعهد الجديد والقرآن والحديث ، وفي الوقف الاسلامي الرائع ، واخيرا في القوانين الانكليزية والفرنسية والسورية ، متوقفا عند النظريات الفلسفية كالبرهمية وغيرها ، محاولا أن يعرض المصادر التي يحتمل ان يكون ابو العلاء قد استقى منها مبدأه في تركه اكل اللحم .

لعل اطرف ما جاء في هذه المقدمة الطويلة هو ذكره لما أنشاه الاقدمون من اوقاف للرفق بالحيوانات ، ورعاية المريضة العاجزة منها التي تخلى اصحابها عنها فلم تعد تجد ما تاكله ، وقد وصل بهم الامر الى اعلى درجات الاجر والمغفرة ، حتى ان بعض الواقفين اشترط وضع آنية في رؤوس المآذن تملأ بالحب ليلتقط منها الطير ما يشبعه ايام القحط والبرد الشديد فالامير ناصر الدين القيمري الذي انشا مدرسة القيمرية الجوانية جعل فيها مكانا للقطط المريضة او العاجزة المشوهة وقد خصص لها من الريع ما يكفي هذه القطط والقائمين عليها من الخدم ، كالحسكي الملقب « ابو القطاط » الذي كان مولجا بتامين اللحم لها من المسلخ . وقد ظلت تلك المدرسة تستقبل الوافدين اليها الى عهد قريب . وقد وقف نور الدين الشهيد عقار « مرج الحشيش » الذي يقام عليه معرض دمشق الدولي حاليا على رعي المواشي العاجزة .

واشار الى اتفاق كلمة المذاهب في الاسلام بخصوص معاملة البهائم على تحريمها على مالك الدابة تكليفها ما لا تطيق من ثقيل الحمل او ادامة السير ، او وسم الدابة وكيها في مكان يؤلمها وخاصة في وجهها ، اذا كان ذلك لغير العلاج ، وتحريمها عليه ضربها ونخسها ، ونتف صوفها ، وحلبها اذا كان علفها قليلا ، أو اذا كان ولدها يحتاج الى هذا الحليب ، ومنعت تحريض الديكة والثيران للعراك . وقد يجبر مالك النحل ان يبقي شيئا من الكوارة ، وفرضت على من يريد ان يذبح دابته أن يحد شفرته عند الذبح ، ويريح الدابة قبل السلخ . اما الحيوان المؤذي فاما ان يقتل ، واما ان يخلى سبيله ولا يجوز حبسه حتى يموت جوعا .

ويتساءل المؤلف ، بعد ان عرض رفق السلف بالحيوان ، اين نحن اليوم من ذلك السلف الصالح ؟ ليت الذين يعيشون في هذا العصر — عصر الحضارة والمدنية — يهتمون بالانسان اهتمام القدماء بالبهائم ، اذن لكانت البشرية في اسعد حال ؟ ! ...

ثم يتحدث عن صوم الدهر عند ابي العلاء ، فيذكر انه ما اكل شيئا من حيوان طوال خمس واربعين سنة ، وقد ابى الله عليه ان ياكل لبن الضان :

ابى الله اخذي در ضأن وماعز وادخالي الامر المضر على السخل

ودعا غيره الى عدم طلب القوت من الذبائح ولا مما اخرجه الماء :

فلا تاكلن مـا اخرج الماء ظالما ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح

وعدم اكل عسل النحل الذي ما جنته مبكرة الا غذاء لها ولاطفالها :

ودع ضرب النحل الذي بكرت له كواسب مـن ازهار نبت فوائح

وظل متشددا في ذلك حتى مات وقد بلغ من الكبر عتيا ، مقتصرا في اكله على الفول والعدس المطبوخ وخبز الشعير والتين ... اذن يمكن اعتبار ابي العلاء اول من دعا الى الرفق بالحيوان بقوله « أرفق به ! » وقد بنى على فلسفته الاخلاقية التقشفية مذهب محبته للبشر ، حتى للحيوانات ، فكلاهما متشبث بالحياة ، وكثيرا ما يفضل الحيوان الانسان كقوله :

كلاهما يتوقـى ، والحياة لـه حبيبـة ويـروم العيش مهتاجا

وقوله :

فيا طائر امني ويا ظبي لا تخف شذاي فمـا بيني وبينكما فرق

ولم يضن ابو العلاء على الحيوانات بالجنة في كتابه «رسالة الغفران» اذ حشر فيها الحيوانات الصالحة مثل اسد القاصرة الذي صادفه ابن القارح — بطل الغفران — وهو يفترس من قطعان بقر الجنة فلا تكفيه منها مئة ولا مئتان . ومثل الذئب الذي كان يقتنص ظباء فيفني قطيعا منها بعد قطيع . وكلما فرغ من ظبي او ظبية عادت بالقدرة الى الحال المعهودة ... الى آخر ما هنالك من مشاهد الحيوانات الكثيرة المبثوثة في ثنايا هذه الرسالة الرائعة الخالدة .

لكن الاستاذ غالي يعلق على ذلك بان أبا العلاء ما كان جادا ابدا في شيء مما ذكره عن الحيوان في رسالة الغفران . وقد اشار الى اهم ما جاء عن الحيوان في رسالة الملائكة وسقط الزند ورسالة الصاهل والشاحج والى ما قاله المعري في كتابه الفصول والغايات الذي لا يخرج في معناه عما جاء في اللزوميات التي صب فيها معظم آرائه الفلسفية .

ثم يقف وقفة طويلة عند سبب ترك ابي العلاء لاكل اللحم ، واختلاف الآراء في ذلك ، فقد نسبه بعضهم الى التبرهم كابن حجر ، اما ابو الفداء فقد نسبه الى الزهد الهندي ، ورأى رأيه طه حسين وفؤاد افرام البستاني وغيرهما من المستشرقين ، وعلى رأسهم فون كرومر ، اما الدكتور زكي المحاسني فيرى انه كان متاثرا بفيلسوفين يونانيين عرفهما العرب هما فيثاغورس وديوجين الكلبي ، ثم يورد آراء كل من بنت الشاطىء وسليم الجندي وغيرهما ... ولا يشك المؤلف في ان مبدأ ابي العلاء وان كان خاطئا لمخالفته للقانون الطبيعي : قانون تنازع البقاء وبقاء الاقوى اذ لو تركت الحيوانات وشانها لما بقي للانسان حبة قمح يقتات بها ولا عشبة تمسك رمقه ولا موطىء لقدمه على سطح الارض ، فانه يدل على نبل عاطفة ابي العلاء ورقة شعوره وترفعه حتى عن ايذاء الحيوان مما يدعو الى الاعجاب بتلك النفس الطيبة الكبيرة .

لقد اثمرت صحبة المؤلف الطويلة لابي العلاء عن تأليف عدة حدائق كان اولها حديقة الحيوان في لزومياته التي تحدثنا عنها باختصار ، وستتلوها حدائق اخرى كحديقة المراة وحديقة النسل وحديقة الخير والشر ، وحديقة القضاء والقدر وحديقة الروح ... واكثرها جاهز للطبع ، وهي كلها تدل على قدرة الاستاذ غالي على البحث وصبره على التنقيب والمراجعة وادامة النظر وسعة الافق ، والتقصي الدقيق ، فلم يفته اي شيء يتعلق بموضوعه ، وكان يرد كل عبارة استعان بها الى المصدر الذي اخذ عنه عربيا كان ام اجنبيا ، بأمانة علمية دقيقة ولذلك كثرت هوامشه وتعليقاته على النصوص .

عسى ان يمد الاجل في حياة الاستاذ غالي ، هذا الانسان الدؤوب ، ليواصل اصدار كتبه الباقية التي انفق فيها جهده ووقف عليها راحته وماله ، لانه يريد ان يضع جهوده المكثفة في متناول الشبيبة القادمة ، ويوفر عليها بذل الجهد والوقت والغوص في بطون المصادر الشاردة بحثا عن الحقيقة ليقدمها اليهم على صينية من ورق .

عيسى فتوح

دمشق

٤٨ قصور — كزبري